باب الدال المهملة

الدابة: ما دب من الحيوان كله، وقد أخرج بعض الناس منها الطير لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: 38]، ورد بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: 6]، قال الشيخ تاج الدين بن عطاء رحمه الله تعالى: وهذه الآية مصرّحة بضمان الحق الرزق، وقطعت ورود الهواجس والخواطر عن قلوب المؤمنين، فإن وردت على قلوبهم كرت عليها جيوش الإيمان بالله تعالى والثقة به فهزمتها، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: 18] ولأن الطير يدب على الأرض برجليه في بعض حالاته، قال الأعشى:

بنات كغصنِ البانِ ترتجُّ إن مشت دبيبَ قطا البطحاء في كلّ منهلِ

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: 60]، وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: 22] قال ابن عطية: مقصود الآية أن يبيّن أنّ هذه الطائفة العاتية من الكفار هي شر الناس عند الله تعالى، وإنّها في أخس المنازل لديه، وعبّر بالدواب ليتأكد ذمّهم وليفضل الكلب والخنزير والفواسق الخمس وغيرهما عليهم. والدواب كل ما دب فهو يجمع الحيوان بجملته، وفي «**الصحيحين**» عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: إنّ النبي ﷺ مر عليه بجنازة فقال: «**مستريح ومستراح منه**»، قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ فقال ﷺ: «**العبد المؤمن مستريح من وصب الدنيا ونصبها إلى رحمة الله تعالى، والعبد الفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب**»، وفي «**سنن أبي داود والترمذي والنسائي**» بأسانيد صحيحة عن إبراهم بن محمد عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**ما من دابة إلاّ وهي مصيخة يوم الجمعة خشية أن تقوم الساعة**». يروى: مصيخة ومسيخة بالصاد والسين، والأصل الصاد ومعناه: منصتة مستمعة، وفي «**الحلية**» في ترجمة أبي لبابة الأنصاري رضي الله تعالى عنه، وهو من أهل الصفة أنّ النبي ﷺ قال: «**إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الأضحى، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا رياح ولا بحر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة أن تقوم الساعة**»، وفي «**صحيح مسلم**» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أخذ النبي ﷺ بيدي وقال: «**خلق الله التربة**

يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى المغرب».

واعلم: أنّه سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء بلا كلفه ونصب، ويختار ما يشاء بلا زلفة وسبب، يخلق ما يشاء بلا علاج، ويختار ما يشاء بلا احتياج، يخلق ما يشاء علماً بربوبيته، ويختار ما يشاء دلالة على وحدانيته، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً. وفي «**كامل ابن الأثير**» أنّ كسرى كان له خمسون ألف دابة وثلاثة آلاف امرأة.

غريبة: في «**تاريخ ابن خلكان**» في ترجمة ركن الدولة بن بويه أنّه حارب عدواً له وضاقت الميرة على الطائفتين حتى ذبحوا دوابهم، ولو أمكن ركن الدولة الانهزام لفعل، فاستشار وزيره أبا الفضل بن العميد في الهرب فقال له: لا ملجأ لك إلاّ إلى الله تعالى، فانو للمسلمين خيراً وصمم العزم على حسن السيرة والإحسان، فإنّ الحيل البشرية كلها تقطعت بنا، وإن انهزمنا تبعونا وقتلونا وهم أكثر منا، فقال: قد سبقتك إلى هذا يا أبا الفضل، قال أبو الفضل: ثم إنّ ركن الدولة استدعاني في تلك الليلة في الثلث الأخير، وقال: رأيت الساعة في منامي كأنّي على دابتي فيروز، وقد انهزم عدونا، وأنت تسير إلى جانبي، وقد جاءنا الفرج من حيث لا نحتسب، فمددت عيني فرأيت على الأرض خاتماً، فأخذته فإذا فصه فيروزج، فجعلته في أصبعي وتبرّكت به، فانتبهت، وقد أيقنت بالظفر فإنّ الفيروزج الفرج جاء ومعناه الظفر، ولذلك لقب الدابة فيروز، قال ابن العميد: فلم أبرح إذ أتانا الخبر والبشارة بأنّ العدو قد رحل وتركوا خيامهم، فما صدقنا حتى تواترت الأخبار، فركبنا ولا نعرف سبب هزيمتهم، وسرنا حذرين من كيدهم ومكرهم، وسرت إلى جانبه وهو على دابته فيروز، فصاح ركن الدولة بغلام بين يديه: ناولني ذلك الخاتم، فأخذ خاتماً من الأرض فناوله إياه، فإذا هو من فيروزج فجعله في إصبعه، وقال: هذا تأويل رؤياي، وهذا هو الخاتم الذي رأيته في منامي بعينه، قال: وهذا من أعجب ما يحكى. واسم ركن الدولة الحسن أبو علي، وكان ملكاً جليلاً مهاباً، وكان قد ملك أصبهان والري وهمذان وجميع عراق العجم، وقد فتح أكثر البلاد وملكها، وقرر قواعدها وضبطها، توفي في المحرم سنة ست وستين وثلثمائة، وكان عمره تسعاً وتسعين سنة، وكانت مدة ملكه أربعاً وأربعين سنة. وفي «**شفاء الصدور**» لابن سبع السبتي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**لا تضربوا وجوه الدواب فإن كل شيء يسبح بحمده**» وقد تقدم عنه حديث في «**البهيمة**» قريب من هذا. وفي «**كتاب الإحياء**» في باب كسر الشهوتين حديث: «**لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعاً أولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة، ثم الملائكة التي تزجي سحاباً، ثم الشمس والقمر والأفلاك وملوك الهواء ودواب الأرض، وآخر ذلك الخباز، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها.**

روى الإمام أحمد والبيهقي في «**الشعب**» عن محمد بن سيرين قال: خرجت دابة تقتل الناس فمن دنا منها قتلته، فجاء رجل أعور فقال: دعوني وإياها فدنا منها، فوضعت رأسها حتى قتلها، فقالوا: حدثنا بأمرك فقال: ما أصبت ذنباً قط، إلاّ ذنباً واحداً بعيني هذه فأخذت سهماً وفقأتها به، قال الإمام أحمد: ولعلّ هذا كان جائزاً في شريعة بني إسرائيل أو في شريعة من كان قبلنا، أمّا في شريعتنا فلا يجوز فقء العين التي ينظر بها إلى ما لا يحل له لكن يستغفر الله تعالى من ذلك ولا يعود إليه. وذكر ابن خلكان في «**ترجمة الربيع الجيزي**» أنه مرّ يوماً بسكة من سكك مصر فطرحت عليه إجانة من رماد، فنزل عن دابته ونفض ثيابه؛ فقيل له ألا تزجرهم فقال: من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب. والربيع بن سليمان هذا صاحب الشافعي، وهو أحد رواة القول الجديد عن الشافعي، وتوفي سنة خمس ومئتين. والجيزي نسبة إلى الجيزة قبالة مصر والأهرام في عملها بالقرب منها، وهي من عجائب أبنية الدنيا، والأهرام قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميّزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم، كما تميّزوا عليهم في حياتهم؛ قيل إنّ المأمون لما وصل مصر أمر بنقب أحد الهرمين، فنقب بعد جهد شديد وغرامة نفقة عظيمة، فوجد داخله مراق ومهاو يعسر سلوكها، ووجد في أعلاها بيت مكعب طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية أذرع، وفي وسطه حوض من صوّان مطبق فيه رمة بالية، قد أتت عليها العصور، فكف عن نقب ما سواه، ونقل أنّ هرمس الأوّل وهو أخنوخ وهو إدريس استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان، فأمر ببنيان الأهرام، ويقال: إنّه ابتناها في مدّة ستة أشهر، وكتب فيها: قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة عام، والهدم أيسر من البنيان، وكسوناها الديباج فليكسها الحصر والحصر أيسر من الديباج، وقال الإمام أبو الفرج بن الجوزي في «**كتاب سلوة الأحزان**» ومن عجائب الهرمين أنّ سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع من رخام ومرمر، وفيها مكتوب: أنا بنيتها فمن ادعى قوّة فليهدمها، فإنّ الهدم أيسر من البناء، قال ابن المنادى: بلغنا أنّهم قدروا خراج الدنيا مراراً فإذا هو لا يقوم بهدمها، والله أعلم.

وفي «**صحيح مسلم**» وغيره عن صهيب رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يكهن له، وفي رواية: ساحر فقال الساحر: قد كبرت وأخاف أن أموت فينقطع عنكم علمي، ولا يكون فيكم من يعلمه، فأنظروا إلي غلاماً فهيماً ـ أو قال ـ فطناً لقناً فأعلمه علمي هذا، فنظروا له غلاماً على ما وصف وأمروه أن يحضر ذلك الساحر وأن يختلف إليه، فجعل يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب في صومعة**، قال معمر: أحسب أنّ أصحاب الصوامع يومئذٍ كانوا مسلمين «**فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به، فلم يزل به حتى أخبره فقال: إنّما أنا عبد الله، فجعل الغلام يمكث عند الراهب ويبطىء على الساحر، فأرسل إلى أهل الغلام أنّه لا يكاد يحضرني، فأخبر الغلام الراهب بذلك

فقال له الراهب: إذ خشيت الساحر فقل حبسني أهل وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر. فبينما الغلام على ذلك إذ، أتى على دابة عظيمة، وقد حبست الناس، فقال: اليوم يبيّن أمر الراهب من أمر الساحر، فأخذ حجراً، وقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبَ إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة ثم رمى بالحجر، فقتلها، فقال الناس: من قتلها؟ فقالوا: الغلام، ففزع الناس وقالوا: لقد علم هذا الغلام علماً لم يعلمه أحد قال: فسمع به أعمى كان جليساً للملك، فقال له: إن رددت إليّ بصري فلك كذا وكذا، فقال له: لا أريد منك شيئاً ولكن أرأيت إن رجع إليك بصرك أتؤمن بالذي رده قال: نعم فدعا الله تعالى فرد عليه بصره، فآمن الأعمى وإنّه جاء إلى الملك بعد ما شفي، فجلس معه كما كان يجلس، فقال له: من رد عليك بصرك قال: ربي، قال: وهل لك رب غيري؟ قال: الله ربي وربك، فأمر بالمنشار فوضع على رأسه حتى وقع شقاه». وفي رواية الترمذي: «أنّ تلك الدابة كانت أسداً وأنّ الغلام لما قتلها أخبر الراهب فقال له: إنّ لك لشأناً وإنّك تبتلى فلا تدل علي، وإن الملك بلغه أمرهم، فبعث إليهم، فأتى بهم إليه فقال: لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه، ثم أمر بالراهب وبالرجل الذي كان أعمى، فوضع المنشار على مفرق كل واحد منهما فقتله ثم قتل المقعد بقتلة أخرى ثم أمر بالغلام فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا، فألقوه من رأسه، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل، فلما انتهوا به إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه، قال الغلام: اللهم اكفنهم بما شئت، فجعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردون منه حتى لم يبق منهم إلاّ الغلام، قال: فرجع الغلام يمشي حتى أتى الملك فقال له: ما فعل أصحابك قال: كفانيهم ربي بما شاء، فأمر الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه، فانطلقوا به إلى البحر فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فأغرق الله عزّ وجلّ الذين كانوا معه، وأنجاه، فأقبل الغلام يمشي على وجه الماء حتى أتى الملك، فتحير الملك في نفسه' فقال له الغلام: أتريد أن تقتلني قال: نعم قال: إنك لا تقدر على ذلك حتى تصلبني وترميني بسهم من كنانتي، وتقول إذا رميتني بسم الله رب هذا الغلام بعد أن تجمّع الناس في صعيد واحد قال: فجمع الملك الناس في صعيد واحد وأمر بالغلام أن يصلب فصلب، وأخذ الملك سهماً من كنانة الغلام، وقال: بسم الله رب هذا الغلام ورماه، فوقع السهم في صدغه فقتله، ووضع الغلام يده على صدغه فقال الناس: آمنا برب هذا الغلام؛ فقيل للملك إنّك جزعت حين خالفك ثلاثة، فهذا العالم كلهم قد خالفوك، فأمر بالأخدود فخذ أخدوداً، ثم ألقى فيه الحطب والنار ثم جمع الناس وقال لهم: من رجع عن دينه تركناه، ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار، فجعل يلقيهم في ذلك الأخدود، فذلك قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ [البروج: 4-5] زاد مسلم: فأتي بامرأة لتلقى في النار ومعها صبي رضيع فجزعت، فقال لها الغلام: يا أماه لا تجزعي، فإنّك على الحق»، وذكر ابن قتيبة أنّ الغلام الرضيع كان عمره سبعة أشهر قال الترمذي: وإنّ الغلام

أخرج في زمان عمر رضي الله تعالى عنه، ويده على صدغه كما وضعها حين قتل. وذكر صاحب السيرة محمد بن إسحق فيها أنّ اسمه عبد الله بن التامر، وأنّ رجلاً من أهل نجران حفر خربة في زمن عمر رضي الله تعالى عنه في بعض حاجته، فوجده تحت الردم قاعداً واضعاً يده على ضربة في صدغه، وفي يده خاتم مكتوب: عليه ربي الله، فكتبوا بذلك إلى عمر رضي الله تعالى عنه، فكتب إليهم أن أقروه على حاله، ففعلوا. قال السهيلي: ويصدقه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ [آل عمران: 169] الآية. وقوله ﷺ: «**إنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**» خرجه أبو داود وذكر أبو جعفر الداودي هذا الحديث بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين، قال: وهي زيادة غريبة لكن الداودي من أهل الثقة والعلم. انتهى. قال ابن بشكوال: وكان اسم ذلك الملك يوسف ذا نواس، وكان بنجران، وكان ملك حمير وما حوله؛ وقيل: اسمه زرعة ذو نواس، وكان على دين اليهودية، قاله السمرقندي، والوقعة كانت قبل مبعث النبي ﷺ بسبعين سنة، وكان اسم ذلك الراهب قيتمون قاله ابن بشكوال. وفي المثل السائر: فلان أكذب من دب ودرج. قال الجوهري: معناه أكذب الأحياء والأموات لأنّهم يدرجون في الأكفان. وروى الترمذي الحكيم عن زيد بن أسلم أنّ الأشعريين أبا موسى وأبا مالك وأبا عامر رضي الله تعالى عنهم في نفر منهم لما هاجروا وقدموا على رسول الله ﷺ وقد أملوا من الزاد، فأرسلوا قاصدهم إلى النبي ﷺ يسأله، فلما انتهى إليه سمعه يقرأ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6] فقال الرجل: ما الأشعريون بأهون على الله من الدواب، فرجع ولم يدخل على النبي ﷺ، فأتى أصحابه، وقال لهم: أبشروا فقد جاءكم الغوث، فظنوا أنّه قد أعلم النبي ﷺ بحالهم، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجلان معهما قصعة مملوءة خبزاً ولحماً، فأكلوا ما شاء الله، ثم قال بعضهم لبعض: ردوا بقية هذا الطعام على رسول الله ﷺ، فردوه، ثم إنّهم أتوه فقالوا: يا رسول الله لم نر طعاماً أكثر ولا أطيب من طعام أرسلته إلينا، فقال ﷺ: «**ما أرسلت إليكم شيئاً**»، فأخبروه أنّهم أرسلوا صاحبهم إليه، فسأله ﷺ فأخبره بما صنع، فقال ﷺ «**ذلكم شيء رزقكموه الله عز وجل**»، قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري: هذه آية مصرّحة بضمان الحق الرزق، وقطعت ورود الهواجس والخواطر عن قلوب المؤمنين، فإن وردت على قلوبهم كرت عليها جيوش الإيمان بالله، والثقة به وبضمانه فهزمتها، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: 18]. وذكر ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن النبي ﷺ قال: «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا، فإنّ لله عز وجل في الأرض حابساً يحبسها**». قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنّه انفلتت له دابة أظنها بغلة، وكان يعرف هذا الحديث فقاله، فحبسها الله تعالى عليه في الحال، قال: وكنت أنا مرة مع جماعة، فانفلتت منهم بهيمة، فعجزوا عنها، فقلت هذا الحديث، فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام.

وروى ابن السني أيضاً: عن الإمام السيد الجليل المجمع على جلالته وحفظه وديانته وورعه ونزاهته أبي عبد الله بن عبيد بن دينار المصري التابعي المشهور رحمه الله تعالى أنّه قال: ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول في أذنها ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: 83] إلاّ وقفت بإذن الله تعالى. وروى الطبراني في «**معجمه الأوسط**» من حديث أنس رضي الله تعالى عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**من ساء خلقه من الرقيق والدواب والصبيان فاقرؤا في أذنه** ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: 83]»، وقد تقدّم في باب الباء الموحدة في لفظ البغلة أنّ النبي ﷺ ركب بغلة فحادت به فحبسها، وأمر رجلاً أن يقرأ عليها ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: 1] فسكتت.

فرع: في كتب الحنابلة يجوز الانتفاع بالدابة في غير ما خلقت له، كالبقر للحمل والإبل والحمير للحرث وقوله ﷺ: «**بينما رجل يسوق بقرة إذ أراد أن يركبها فقالت: إنّا لم نخلق لذلك**»، متفق عليه المراد أنّه معظم منافعها ولا يلزم منه منع غير ذلك، وقال الإمام أحمد: من شتم دابة قال الصالحون: لا تقبل شهادته لحديث المرأة التي لعنت الناقة. وفي «**صحيح مسلم**» عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة.

فرع: يجب على مالك الدابة علفها ورعيها وسقيها لحرمة الروح، كما في «**الصحيح**»: «**عذبت امرأة في هرة**» لأنّها ذات روح، فأشبهت العبد، فإن لم تكن ترعى لزمه أن يعلفها ويسقيها إلى أوّل شبعها وريها دون غايتهما، وإن كانت ترعى لزمه إرسالها لذلك حتى تشبع وتروى بشرط فقد السباع العادية، ووجود الماء، فإن اكتفت بكل من الرعي أو العلف بينهما، فإن لم تكتف إلاّ بهما لزماه، وإن احتاجت البهيمة إلى السقي ومعه ماء يحتاج إليه لطهارته سقاها وتيمم، فإن امتنع من العلف أجبر في مأكولة على بيع أو علف أو ذبح، وفي غيرهما على بيع أو علف صيانة لها عن الهلاك، فإن لم يفعل فعل الحاكم ما تقتضيه المصلحة، فإن كان له مال ظاهر بيع في النفقة، فإن تعذر جميع ذلك فمن بيت المال.

فائدة: يستحب أن يقول عند ركوب الدابة ما رواه الحاكم والترمذي وصححاه عن علي بن ربيعة قال: شهدت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد أتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: باسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: 13-14]، ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فإنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، ثم ضحك؛ فقيل يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت؟ قال:

رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت، فقلت: يا رسول الله من أي شيء ضحكت؟ قال: «**إنّ ربك تعالى يعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي، يعلم أنّه لا يغفر الذنوب غيري**».

وروى أبا القاسم الطبراني في «**كتاب الدعوات**» عن عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنّه قال: «إذا ركب العبد الدابة ولم يذكر اسم الله تعالى ردفه الشيطان فقال: تغن فإن كان لا يحسن الغناء قال له: تمن فلا يزال في أمنيته حتى ينزل»، وفيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**من قال إذا ركب دابة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء سبحانه ليس له سميّ، سبحان الذي سخّر لنا هذا، وما كنا له مقرنين وإنّا إلى ربنا لمنقلبون الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعليه السلام، قالت الدابة: بارك الله عليك من مؤمن خففت عن ظهري وأطعت ربك وأحسنت إلى نفسك بارك الله لك في سفرك وأنجح حاجتك**».

وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن إدريس، عن أبي النضر الدمشقي، عن إسمٰعيل بن عياش عن عمرو بن قيس الملائي أنّه قال: إذا ركب الرجل الدابة قالت: اللهم اجعله بي رفيقاً رحيماً، فإذا لعنها قالت: على أعصانا لله لعنة الله. وفي «**كامل ابن عدي**» في ترجمة عبّاد بن كثير الثقفي وكان شعبة لا يستغفر له، أنّه روى عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «**اضربوا الدواب على النفار ولا تضربوها على العثار**».

فرع: يجوز الإرداف على الدابة إذا كانت مطيقة ولا يجوز إذا لم تطقه، ففي «**الصحيحين**» عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي ﷺ أردفه حين دفع من عرفات إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل بن العباس رضي الله تعالى عنهما من مزدلفة إلى منى، وأنّه ﷺ أردف معاذاً رضي الله تعالى عنه على الرحل، وأردفه على حمار يقال له عفير، وأمر ﷺ عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما أن يعتمر بأخته عائشة رضي الله تعالى عنها من التنعيم، فأردفها وراءه على راحلته وأردف ﷺ صفية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وراءه حين تزوجها بخيبر. وإذا أردف صاحب الدابة فهو أحق بصدرها، ويكون الرديف وراءه إلاّ أن يرضى صاحبها بتقديمه لجلالته أو غير ذلك، وأفاد الحافظ ابن منده أنّ الذين أردفهم النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون نفساً، ولم يذكر فيهم عقبة بن عامر الجهني رضي الله تعالى عنه، ولم يذكر أحد من علماء الحديث والسير أنّ النبي ﷺ أردفه. وروى الطبراني عن جابر رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي ﷺ نهى أن يركب ثلاثة على دابة.

فرع: قال أصحابنا: ما ليس مأكولاً من الدواب والطيور إن كان فيه مضرة متمخضة استحب قتله للمحرم وغيره، كالفواسق الخمس والذئب والأسد والنمر والنسر والحدأة والبرغوث والقمل والزنبور والبق والقراد وأشباهها، فإن كان فيه منفعة ومضرة كالفهد والكلب

المعلم والعقاب والبازي والصقر ونحوها فلا يستحب قتله لما فيه من المنفعة، ولا يكره لما فيه من الضرر، وهو الصيال على حمام الناس والعقر، وإن لم يكن فيه نفع ولا ضرر كالخنافس والدود والجعلان والسرطان والبغاث والرخمة والغطاءة واللجا والذباب وأشباهها فيكره قتله، ولا يحرم على ما قطع به الجمهور. وحكى الإمام وجهاً شاذاً أنّه يحرم قتل الطيور دون الحشرات لأنّه عبث بلا حاجة.

وأمّا دابة الأرض التي ذكرها الله تعالى في سورة سبأ: فهي الأرضة؛ وقيل: سوسة الخشب قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ: 14]، السبب في ذلك أنّ سليمان عليه السلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه له ودخله مختفياً ليصفو له يوم واحد من الدهر عن الكدر، فدخل عليه شاب فقال له: كيف دخلت من غير استئذان؟ فقال له: إنّما دخلت بإذن، قال: ومن أذن لك؟ قال: رب هذا الصرح، فعلم سليمان أنّه ملك الموت أتى ليقبض روحه، فقال: سبحان الله هذا اليوم الذي طلبت فيه الصفاء، فقال له: طلبت ما لم يخلق، فاستوثق من الاتكاء على العصا، وقد كان بيت المقدس بقي من تمام بنائه سنة، فسأل الله تعالى تمامها على يد الإنس والجن، وكان يخلو بنفسه الشهرين والثلاثة، فكانوا يقولون: إنّه يتحنث أي يعبد ربه، فقبض روحه، وكانت الجن تدعي علم الغيب، فلما قبض بقيت الجن تعمل على عادتها؛ وقيل: إن ملك الموت أعلمه أنّه بقي من عمره ساعة، فدعا الجن فبنوا له الصرح، وقام يصلي متكئاً عى عصاه، فمات وهو متكىء عليها، وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه، لا ينظر أحد منهم إليه في صلاته إلاّ احترق، فمر واحد منهم فلم يسمع صوته، ثم رجع، فسلم فلم يسمع له كلاماً فنظر فإذا هو قد خر ميتاً، فعلمت الإنس أنّ الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين سنة، وكان عمره عليه السلام ثلاثاً وخمسين سنة، والمنسأة العصا، وكانت من خروب، وذلك أنّه كان يتعبّد في بيت المقدّس فينبت له في محرابه كل سنة شجرة، فيسألها ما اسمك؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا، فيقول لها: لأي شيء أنت؟ فتقول لكذا وكذا، فيأمر بها فتقلع، فإن كانت تنبت بغرس غرست وإن كانت لدواء كتبت، فبينما هو ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: أنا الخروبة، خرجت لخراب ملكك، فعرف أنّه قد حضر أجله، فاستعد واتخذ منها عصا، واستدعى بزاد سنة والجن تتوهم أنّه يأكل بالليل، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وكان الذي ابتدأ في بناء بيت المقدس داود عليه السلام، فرفعه قامة رجل ثم مات، فلما استخلف ابنه سليمان عليه السلام أحب إتمامه، فجمع الجن والشياطين، وقسم عليهم الأعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحها له، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الأبيض، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح، وجعلها اثني عشر ربضاً، وأنزل في كل ربض منها سبطاً، فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في عمارة المسجد، فوجه الشياطين فرقاً فرقاً

يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر، وفرقاً يقلعون الجواهر والرخام من أماكنها، وفرقاً يأتونه بالمسك والعنبر، وسائر أنواع الطيب، فأتى من ذلك بشيء لا يحصيه إلاّ الله تعالى، ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحاً وثقب اليواقيت واللآلىء وإصلاح الجواهر، فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر، وعمده بأساطين المها الصافي، وسقفه بألواح الجواهر الثمينة ونضد سقوفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت وسائر الجواهر، وبسط أرضه بألواح الفيروزج، فلم يكن يومئذٍ في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلماء كالقمر ليلة البدر، فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل فأعلمهم أنّه قد بناه لله عز وجل خالصاً واتخذ ذلك اليوم عيداً.

فائدة: قال بعض العلماء: سخّر الله عزّ وجلّ الجن لسليمان عليه السلام، وأمرهم بطاعته، ووكل بهم ملكاً بيده صوت من نار، فمن زاغ منهم عن أمره ضربه الملك ضربة أحرقته، قال أهل التفسير: أجرى الله تعالى لسليمان عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء وكان ذلك بأرض اليمن، وإنّما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان من النحاس.

وروى الحاكم عن إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «**كان سليمان نبي الله إذا قام في مصلاه رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول ما اسمك؟ فتقول: كذا، فيقول: لأي شيء أنت؟ فتقول: لكذا وكذا، فإذا كانت لدواء كتبت وإن كانت لغرس غرست، فبينما هو يصلي يوماً إذ رأى شجرة فقال: ما اسمك؟ قالت: الخروب، فقال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان عند ذلك: اللهم عَمِّ على الجن موتي حتى تعلم الإنس أنّ الجن لا تعلم الغيب، قال: فاتخذ منها عصا وتوكأ عليها، فأكلتها الأرضة، فسقط، فوجدوه ميتاً حولاً، فتبينت الإنس أنّ الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين**»، وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقرؤها هكذا: ما لبثوا حولاً في العذاب المهين، فشكرت الجن الأرضة، وكانت تأتيها بالماء والتراب حيث كانت، ثم قال: صحيح الإسناد.

وأمّا الدابة التي هي أحد أشراط الساعة فقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: 82]، قال: إذا لم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر؛ قيل: إنّها دابة طولها ستون ذراعاً ذات قوائم ووبر؛ وقيل هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات يتصدع لها جبل الصفا، فتخرج منه ليلة جمع والناس سائرون إلى منى؛ وقيل: تخرج من الحجر؛ وقيل من أرض الطائف ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليه السلام، لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تضرب المؤمن بالعصا، وتكتب في وجهه مؤمن وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب في وجهه كافر، كذا رواه الحاكم في

أواخر «**المستدرك**» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ. وفيه عن أبي الطفيل عن أبي شريحة عن النبي ﷺ أنّه قال: «**يكون للدابة ثلاثة خرجات في الدهر تخرج أوّل خرجة بأقصى اليمن، فيفشو ذكرها بالبادية، ولا يدخل ذكرها القرية يعني: مكة، ثم يكون زمان طويل، ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة فيفشو ذكرها في البادية، ويدخل ذكرها القرية يعني: مكة، ثم يكون زمان فبينما الناس يوماً في أعظم المساجد عند الله حرمة وأحبها إلى الله تعالى وأكرمها على الله عزّ وجل، يعني: المسجد الحرام، لم يرعهم إلاّ وهي في ناحية المسجد بين الركن الأسود وباب بني مخزوم، فترفض الناس عنها شتى وتثبت لها عصابة من المسلمين عرفوا أنّهم لن يعجزوا الله هرباً فتنفض عن رؤوسهم التراب فتجلو عن وجوههم حتى تظل كأنها الكواكب الدرية، ثم تذهب في الأرض فلا يدركها طالب ولا يعجزها هارب، حتى إنّ الرجل ليعوذ منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه فتقول: أي فلان الآن تصلي فيلتفت إليها فتسمه في وجهه ثم تذهب، فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في أموالهم يعرف المؤمن من الكافر حتى إن الكافر يقول: يا مؤمن اقضني ويقول المؤمن: يا كافر اقضني**».

روى السهيلي أنّ موسى عليه السلام يسأل ربه عزّ وجلّ أنّ يريه الدابة التي تكلم الناس، فأخرجها الله له من الأرض، فرأى منظراً أفزعه وهاله، قال: أي رب ردها فردها، قال: والدابة اسمها أقصد، كذا ذكره محمد بن الحسن المقري في تفسيره، انتهى. روي أنّها تخرج حين ينقطع الخير ولا يؤمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يبقى منيب ولا تائب.

وفي الحديث أنّ الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أوّل أشراط الساعة، ولم يعين الأوّل منهما، وكذلك الدجّال، وظاهر الأحاديث أنّ طلوع الشمس آخرها، والظاهر أنّ الدابة التي تخرج واحدة. وروي أنّه يخرج من كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها في الأرض وليست بواحدة فعلى هذا يكون قوله تعالى دابة اسم جنس.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنّها الثعبان الذي كان في جوف الكعبة واختطفته العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام وأنّ الطائر حين اختطفها ألقاها بالحجون، فالتقمتها الأرض فهي الدابة التي تخرج تكلم الناس، وتخرج عند الصفا، قال محمد بن الحسن المقري: وهو غريب غير أنّ الرجل من أهل العلم، ولذلك حكينا قوله، وقال القرطبي: إنّها فصيل ناقة صالح لقوله في الحديث: «**تخرج ولها رغاء**» والرغاء لا يكون إلاّ للإبل وهو غريب أيضاً، وفي «**الميزان**» للذهبي عن جابر الجعفي أنّه كان يقول: دابة الأرض علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: وكان جابر الجعفي شيعياً يرى الرجعة أي أنّ علياً رضي الله تعالى عنه يرجع إلى الدنيا، وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: ما لقيت أحداً أكذب من جابر الجعفي ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح، وقال الإمام الشافعي

رضي الله تعالى عنه: أخبرني سفيان بن عيينة قال: كنا في منزل جابر الجعفي فتكلم بشيء فخرجنا مخافة أن يقع علينا السقف، قلت: ومع ذلك روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه، ووفاته سنة ست وستين ومئة.

واختلف العلماء في كيفية خلق الدابة اختلافاً كثيراً؛ فقيل: إنها على خلقة الآدميين؛ وقيل: جمعت خلق كل حيوان.

وهنا فائدة: وهي أنّ المفسرين اختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: 82]؛ قيل: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام، قاله السدي، وقيل كلامها أن تقول لواحد هذا مؤمن، وتقول لآخر هذا كافر؛ وقيل: كلامها ما قاله الله عز وجل ك﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: 82] ويكون كلامها بالعربية.

وروي عن علي رضي الله تعالى عنه أنّه قال: ليست بدابة لها ذنب ولكن كالحية كأنّه يشير إلى أنّها رجل، والأكثرون على أنّها دابة. وروى ابن جريج عن أبي الزبير أنّه وصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور، وعيناها عينا خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن إيل، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً. وروى الثعلبي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّه قال: تخرج الدابة من صدع في الصفا تجري كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها.

وروى أيضاً عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه أنّه قال: قال رسول الله ﷺ «**إنّ الدابة تخرج من أعظم المساجد حرمة عند الله تعالى بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون، فتضطرب الأرض من تحتهم، وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أوّل ما يبدو منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تسم الناس مؤمناً وكافراً، أمّا المؤمن فتترك وجهه كأنّه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن، وأمّا الكافر فتترك في وجهه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر**». وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال: إنّ الدابة لتسمع قرع عصاي هذه. وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّه قال: تخرج الدابة من شعب أبي قبيس رأسها في السحاب ورجلاها في الأرض، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**بئس الشعب شعب أجياد**» مرتين أو ثلاثاً؛ قيل ولم ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: «**لأنّه تخرج منه الدابة، فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين**»؛ وقيل إنّ وجهها وجه رجل وسائر خلقتها كخلقة الطير، فتكلم من رآها أنّ أهل مكة كانوا بمحمد ﷺ والقرآن لا يوقنون.

فرع: إذا أوصي لرجل بدابة حمل على فرس وبغل وحمار لأنّها في اللغة اسم لما دب على وجه الأرض، ثم قصرها العرف على ذوات الأربع، والوصية تنزل على العرف، وإذا

ثبت عرف في بلد عم جميع البلاد كما لو حلف لا يركب دابة، فركب كافراً لا يحنث وإن كان الله تعالى قد سماه دابة، وكما لو أنه حلف لا يأكل خبزاً حنث بأكل خبز الأرز في طبرستان على الأصح هذا هو المنصوص، وقال ابن سريج: إنّما ذكر الشافعي هذا على عرف أهل مصر في ركوبها جميعاً، واستعمال لفظ الدابة فيها إما حيث لا يستعمل إلاّ في الفرس كالعراق، فإنّه لا يعطي سواها؛ وقيل إن قاله بمصر لم يعط إلا حماراً قاله في «**البحر**»: ويدخل في لفظ الدابة الكبير والصغير والذكر والأنثى والسليم والمعيب، وقال المتولي: إلا ما يمكن ركوبه.

فرع: يكره دوام الوقوف على الدابة لغير حاجة، وترك النزول عنها للحاجة لما في **سنن أبي داود** البيهقي من حديث أبي مريم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر فإن الله عز وجل إنما سخّرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وجعل لكم في الأرض مستقراً فاقضوا عليها حاجاتكم**»، ويجوز الوقوف على ظهرها للحاجة ريثما تقضى لما روى مسلم وأبو داود والنسائي عن أم الحصين الأحمسية رضي الله تعالى عنها قالت: حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فرأيت أسامة وبلالاً رضي الله تعالى عنهما أحدهما آخذ بخطام ناقة النبي ﷺ والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة، وهكذا رواه أحمد والحاكم وابن حبان وصححاه وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في «**الفتاوى الموصلية**» النهي عن ركوب الدواب وهي واقفة محمول على ما إذا كان لغير غرض صحيح، وأمّا الركوب الطويل في الأغراض الصحيحة، فتارة يكون مندوباً كالوقوف بعرفة، وتارة يكون واجباً كوقوف الصفوف في قتال المشركين، وقتال كل من يجب قتاله، وكذلك الحراسة في الجهاد إذا خيف هجمة العدو وهذا لا خلاف فيه، وفي حديث أم الحصين رضي الله عنها دليل على أنّ للمحرم أن يستظل بالمظال نازلاً بالأرض وراكباً على ظهر الدابة، ورخص فيه أكثر أهل العلم، إلاّ أنّ مالك بن أنس وأحمد رضي الله تعالى عنهما كانا يكرهان للمحرم أن يستظل راكباً لما روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّه رأى رجلاً قد جعل على رحله عوداً له شعبتان، وجعل عليه ثوباً يستظل به وهو محرّم فقال له ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: اضح للذي حرمت له، أي أبرز للشمس وأمّا قوله ﷺ: «**لا تتخذوا ظهور الدواب منابر**» فإنّما أراد أن يستوطن ظهورها لغير أرب في ذلك، ولا حاجة، وقال الرياشي: رأيت أحمد بن المعدل في الموقف في يوم شديد الحر، وقد ضحى للشمس فقلت له: يا أبا الفضل إنّ هذا أمر قد اختلف فيه فلو أخذت بالتوسعة فأنشأ يقول:

ضحيتُ له كي أستظلَّ بظلِّه ... إذا الظلُّ أضحى في القيامة قالصا

فوا أسفا إن كان سعيك باطلاً ... ويا حسرتا إن كان حجك ناقصا

وأحمد بن المعدل هذا بصري مالكي المذهب يعد من زهاد البصرة وعلمائها وأخوه عبد الصمد بن المعذل شاعر ماهر.

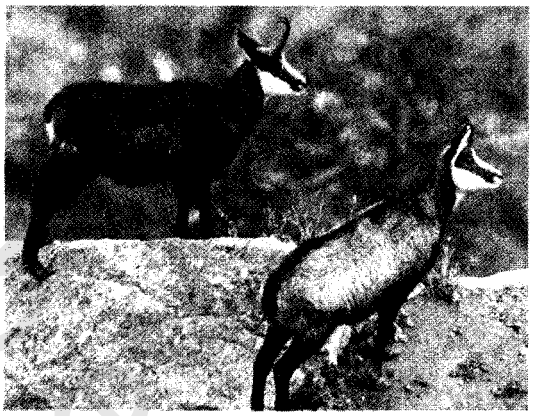

الداجن: الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم، وكذلك الناقة والحمام البيوتي، والأنثى داجنة والجمع دواجن، وقال أهل اللغة: دواجن البيوت ما ألفها من الطير والشاء وغيرهما، وقد دجن في بيته إذا لزمه، قال ابن السكيت: شاة داجن وراجن إذا ألفت البيوت وأستأنست، قال: ومن العرب من يقولها بالهاء، وكذلك غير الشاة ككلاب الصيد، وقد أنشد عليه الجوهري بيتاً للبيد رضي الله تعالى عنه قال: وأبو دجانة كنية سماك بن خرشة، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكره في القنفذ.

وفي «**صحيح مسلم**» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ميمونة أخبرته أنّ داجنة كانت لبعض نساء النبي ﷺ، فماتت فقال رسول الله ﷺ «**ألا أخذتم إهابها فاستمتعتم به**»، وفيه وفي «**السنن الأربعة**» عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كانت في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها. وفي حديثها أيضاً: كانت عندنا داجن، فإذا كان رسول الله ﷺ عندنا قر وثبت وإذا خرج ﷺ جاء وذهب، وفي الحديث: «**لعن الله من مثل بدواجنه**»، وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: كانت العضباء داجناً لا تمنع من حوض ولا بيت وهي ناقة رسول الله ﷺ، وفي حديث الإفك: فتدخل الداجن فتأكل من عجينها.

تتمة: دجين بن ثابت أبو الغصن اليربوعي البصري، روي عن أسلم مولى عمرو بن هشام بن عروة بن الزبير، قال ابن معين: حديثه ليس بشيء، وقال أبو حاتم وأبو زرعة: ضعيف وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني وغيره: ليس بالقوي، وقال ابن عدي: روي لنا عن ابن معين أنّه قال: دجين هو جحا، وقال البخاري: دجين بن ثابت هو أبو الغصن سمع مسلمة وابن المبارك، وروى عنه وكيع، قال عبد الرحمن بن مهدي، قال لنا مرة دجين ـ وهو جحا ـ: حدّثني مولى لعمر بن عبد العزيز فقلنا له: إن مولى لعمر بن عبد العزيز لم يدرك النبي ﷺ فقال: إنّما هو أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قلنا لعمر: ما بالك لا تحدثنا عن رسول الله ﷺ فقال: إنّما أخشى أن أزيد وأنقص، وإني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كذب عليَّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار**». وقال حمزة والميداني في الأمثال: جحا رجل من فزارة كنيته أبو الغصن وهو من أحمق الناس، فمن حمقه أنّ موسى بن عيسى الهاشمي مر به يوماً وهو يحفر بظهر الكوفة موضعاً فقال له: ما بالك يا أبا

الغصن لأي شيء تحفر؟ فقال: إني دفنت في هذه الصحراء دراهم ولست أهتدي إلى مكانها فقال له موسى: كان ينبغي أن تجعل عليها علامة، قال: لقد فعلت، قال: ماذا؟ قال: سحابة في السماء كانت تظلها ولست أدري موضع العلامة الآن.

ومن حمقه أيضاً أنّه خرج يوماً بغلس، فعثر في دهليز منزله بقتيل، فألقاه في بئر هناك، فعلم به أبوه، فأخرجه ودفنه ثم خنق كبشاً وألقاه في البئر، ثم إنّ أهل القتيل طافوا في سكك الكوفة يبحثون عنه، فتلقاهم جحا، وقال: في دارنا رجل مقتول، فانظروا لعله صاحبكم، فغدوا إلى منزله، فأنزلوه في البئر، فلما رأى الكبش ناداهم: هل كان لصاحبكم قرون؟ فضحكوا منه وانصرفوا. ومن حمقه أيضاً: أنّ أبا مسلم الخراساني صاحب الدعوة لما ورد الكوفة قال لمن حوله: أيكم يعرف جحا فيدعوه إليّ؟ فقال يقطين: أنا، فخرج ودعاه، فلما دخل لم يجد في المجلس غير أبي مسلم ويقطين، فقال جحا: يا يقطين أيكما أبو مسلم؟ وجحا اسم لا ينصرف، لأنّه معدول من جاح مثل عمر من عامر، يقال جحا: يجحو جحواً إذا رمى.

الدارم: القنفذ قاله ابن سيده، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف.

الدبى: بفتح الدال المهملة وتخفيف الباء الموحدة، الجراد قبل أن يطير الواحدة دباة، قال الراجز:

كأن خوف قرطها المعقوب على دباة وعلى يعسوب

وأرض مدبية، أي: كثيرة الدبى، وقالوا في أمثالهم: أكثر من الدبى، وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: يا رسول الله كيف الناس بعد ذلك قال ﷺ: «**دبى يأكل شداده ضعفاءه حتى تقوم الساعة**»، وقد تقدّم الكلام على عموم الجراد.

الدب: من السباع معروف، والأنثى دبة وكنيته أبو جهينة وأبو الجلاح وأبو سلمة وأبو حميد وأبو قتادة وأبو اللماس، وأرض مدبة أي ذات أدباب.

والدب يحب العزلة فإذا جاء الشتاء دخل وجاره الذي اتخذه في الغيران، ولا يخرج حتى يطيب الهواء، وإذا جاع يمتص يده ورجليه، فيندفع عنه بذلك الجوع، ويخرج في الربيع كأسمن ما يكون.

وهو مختلف الطباع لأنّه يأكل ما تأكله السباع وما ترعاه البهائم وما يأكله الناس، ومن طبعه أنّه إذا كان أوان السفاد خلا كل ذكر بأنثاه والذكر يسافد أنثاه مضطجعة على الأرض وتضع الأنثى جروها قطعة لحم غير مميز الجوارح، فتهرب به من موضع إلى موضع خوفاً عليه من النمل كما تقدم في «جهبر»، وهي مع ذلك تلحسه حتى تتميز أعضاؤه ويتنفس. وفي ولادتها صعوبة، وربما أشرفت على التلف حالة الوضع، وزعم بعضهم أنّها تلد من فيها وإنّما تلده ناقص الخلق تشوقاً للذكر وحرصاً على السفاد، ولشدة شهوتها تدعو الآدمي إلى وطئها. ومن شأن هذا الجنس أن يسمن في الشتاء وتقل فيه حركته وتضع الإناث حينئذٍ. وإذا جثم في مكان لا يتحرك منه إلى أن يمضي عليه أربعة عشر يوماً، وبعد ذلك يتدرج في الحركة، والأنثى إذا انهزمت دفعت جراءها بين يديها، فإذا اشتد خوفها عليها صعدت بها الأشجار. وفي طبعه فطنة عجيبة لقبول التأديب لكنه لا يطيع معلمه إلاّ بعنف وضرب شديد.

وحكمه: تحريم الأكل لأنّه سبع يتقوّى بنابه، وقال الإمام أحمد: إن لم يكن له ناب فلا بأس به لأنّ الأصل الإباحة، ولم يتحقق وجود المحرم.

فائدة: قال الإمام أبو الفرج بن الجوزي في آخر «**الأذكياء**»: هرب رجل من أسد فوقع في بئر فوقع الأسد خلفه، فإذا في البئر دب فقال له الأسد: منذ كم لك ههنا؟ قال: منذ أيام، وقد قتلني الجوع، فقال له الأسد: أنا وأنت نأكل هذا الإنسان، وقد شبعنا فقال له الدب: فإذا عاودنا الجوع ما نصنع، وإنّما الرأي أن نحلف له أنا لا نؤذيه ليحتال في خلاصنا وخلاصه، فإنّه على الحيلة أقدر منا، فحلفنا له، فتشبث حتى وجد نقباً، فوصل إليه ثم إلى الفضاء، فتخلص وخلصهما، ومعنى هذا أنّ العاقل لا يترك الحزم في كل أموره ولا يتبع شهوته لا سيما إذا علم أنّ فيها هلاكه، بل ينظر في عاقبة أمره ويأخذ بالحزم في ذلك.

وحكى القزويني في «**عجائب المخلوقات**» أن أسداً قصد إنساناً، فهرب والتجأ إلى شجرة، فإذا على بعض أغصانها دب يقطف ثمرتها، فلما رأى الأسد أنّه فوق الشجرة جاء وافترش تحتها ينتظر نزول الإنسان، قال: فنظرت إلى الدب فإذا هو يشير بأصبعه إلى فيه أن اسكت لئلا يعرف الأسد أنّي هنا قال: فبقيت متحيراً بين الأسد والدب، وكان معي سكين صغير، فأخرجته وقطعت بعض الغصن الذي عليه الدب حتى إذا لم يبق منه إلاّ اليسير سقط الدب بسبب ثقله، فوثب الأسد عليه وتسارعا زماناً ثم غلبه الأسد، فافترسه ورجع عني.

الأمثال: تقدم أنّهم قالوا: أحمق من جهبر وهي أنثى الدب. وأمّا قولهم: ألوط من دب فهو رجل من العرب كان يتجاهر بعمل ذلك. وأمّا قولهم: ألوط من ثفر، فإنّما قالوه لأنّ الثفر لا يفارق دبر الدابة، وقولهم: ألوط من راهب هذا من قول الشاعر:

وألـــوط مـــن راهـــبٍ يـــدَّعـــي بـــأنّ الـنـســاء عـلـيـه حَـرامُ

الخواص: نابه يلقى في لبن المرضعة ويسقاه الصبي تنبت أسنانه بسهولة، وشحمه يزيل البرص طلاء، وإذا شدت عينه اليمنى في خرقة، وعلقت على عضد إنسان لم يخف السباع، وإن علقت على من به الحمى الدائمة أبرأته، ومرارته إذا اكتحل بها مع العسل وماء الرازيانج أذهبت ظلمة البصر، وإذا طلي بذلك موضع داء الثعلب أنبت الشعر فيه، وإذا شرب من مرارته وزن دانقين بعسل وماء حار نفع الرتة والبواسير، وطرد الرياح، وإذا ربطت مرارته على فخذ الرجل اليمنى جامع ما شاء ولا يضره، ودمه إذا اكتحل به منع طلوع الشعر في أجفان العين، وإن اكتحل به نتفه لم ينبت، وإذا دلك الولد بشحمه كان له حرزاً من كل سوء، وإذا حشي بشحمه موضع الناسور نفعه، وإذا طلي بشحمه كلب جن، وقطعة من جلده إذا علقت على الصبي الذي ساء خلقه يزول عنه ذلك، وعينه اليمنى إذا جففت وعلقت على الطفل لم يفزع من نومه.

التعبير: الدب في المنام يدل على الشر والنكد والفتنة، وربما دلت رؤيته على المكر والخديعة، وعلى المرأة الثقيلة البدن الموحشة المنظر ذات اللهو واللعب والطرب، وربما دلت رؤيته على الأسرار والسجن، وربما دلت رؤيته على عدو أحمق لص مختال مخنث، فمن رأى أنّه ركب دباً نال ولاية دنيئة إن كان لها أهلاً، وإلاّ ناله هم وخوف ثم ينجو، وربما دل على سفر، ثم يرجع إلى مكانه، والله أعلم.

الدبدب: حمار الوحش، قاله في «**العباب**» وقد تقدم الكلام عليه في باب الحاء المهملة.

الدبر: بفتح الدال جماعة النحل، وقال السهيلي: الدبر الزنابير، وأمّا الدبر بكسر الدال فصغار الجراد، قال الأصمعي: لا واحد له من لفظه، ويقال إن واحده خشرمة، ويجمع الدبر على دبور، قال الهذلي: في وصف عسال:

إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها

أي: لم يخف لسعها ونه فسر قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: 110]، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: 5]، أي: من كان يخاف لقاءه، قال النحاس: أجمع أهل التفسير على أنّ الرجاء في الآيتين بمعنى الخوف، ويقال أيضاً للزنابير: دبر كما قاله السهيلي. ومنه قيل لعاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله تعالى عنه حَمِيُّ الدبر، وذلك أنّ المشركين لما قتلوه أرادوا أن يمثلوا به فحماه الله تعالى بالدبر فارتدعوا عنه حتى

أخذه المسلمون، فدفنوه وكان رضي الله تعالى عنه قد عاهد الله تعالى أن لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك، فحماه الله تعالى منهم بعد وفاته.

وفي أوائل «**تاريخ نيسابور**» للحاكم عن ثمامة بن عبد الله عن أنس بن مالك ﷺ، وهو ممن روى له الجماعة أنّه قال خرجنا مرّة من خراسان ومعنا رجل يشتم أو ينال من أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، فنهيناه، فأبى، فحضر غذاؤنا ذات يوم ثم مضى إلى حاجته، فأبطأ علينا، فبعثنا في طلبه، فرجع إلينا الرسول، وقال: أدركوا صاحبكم، فذهبنا إليه فإذا هو قد قعد على حجر يقضي حاجته، فخرج عليه عنق من الدبر فنثرت مفاصله مفصلاً مفصلاً، قال: فجمعنا عظامه، وإنّها لتقع علينا فما تؤذينا وهي تبري مفاصله، وجاء في الحديث: «**لتملكن سنن من قبلكم ذراعاً بذراع حتى لو سلكوا خشرم دبر لسلكتموه**» والخشرم مأوى النحل.

وفي الفائق أنّ سكينة بنت الحسين رضي الله تعالى عنهما جاءت إلى أمها الرباب، وهي صغيرة تبكي، فقالت: ما بك؟ قالت: مرت بي دبيرة، فلسعتني بأبيرة، أرادت تصغير دبرة، وهي النحلة سميت بذلك لتدبيرها في عمل العسل.

الدبسي: بفتح الدال المهملة وكسر السين المهملة ويقال له أيضاً الدبسي، بضم الدال طائر صغير منسوب إلى دبس الرطب، لأنّهم يغيرون في النسب كالدهري والسهلي. والفامي: بائع الفوم والقياس فومي، والأدبس من الطير والخيل الذي في لونه غبرة بين السواد والحمرة. وهذا النوع قسم من الحمام البري وهو أصناف مصري وحجازي وعراقي، وهي متقاربة لكن أفخرها المصري ولونه الدكنة؛ وقيل هو ذكر اليمام. قال الجاحظ: قال صاحب «**منطق الطير**»: يقال: في الحمام الوحشي من القماري والفواخت وما أشبه ذلك: دباسي، ويقال: هدل يهدل هديلاً إذا صاح، فإذا طرب قيل: غرد يغرد تغريداً، والتغريد يكون أيضاً للإنسان، وأصله من الطير بعضهم يزعم أنّ الهديل من أسماء الحمامة الذكر، قال الراجز:

كهداهد كسر الرماةُ جناحَهُ يدعو بقارعة الطريق هَديلا

وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر الهديل في باب الهاء، وروى الإمام أحمد والطبراني ورجال المسند ورجال الصحيح عن يحيى بن عمارة عن جده حنش، قال: دخلت الأسواق، فأخذت دبسيتين وأمهما ترفرف عليهما، وأنا أريد أن أذبحهما، قال: فدخل علي أبو حنش، فأخذ متيخة فضربني بها، وقال: ألم تعلم أنّ رسول الله ﷺ حرم ما بين لابتي المدينة. المتيخة أصل جريد النخل، وأصل العرجون والأسواف، سيأتي إن شاء الله تعالى ذكره في النهاس أيضاً في باب النون. وفي «الموطأ» عن عبد الله بن أبي بكر: أن أبا طلحة الأنصاري رضي الله تعالى عنه كان يصلي في حائط له فطار دبسي، فأعجبه وهو طائر في الشجر يلتمس مخرجاً، فأتبعه بصره ساعة، وهو في صلاته فلم يدر كم صلى فذكر للنبي ﷺ ما أصابه من

الفتنة ثم قال: يا رسول الله هو صدقه فضعه حيث شئت. قال مالك: وعن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من الأنصار كان يصلي في حائط له بالقف في زمن التمر والنخل، قد ذللت فهي مطوقة بثمرها، فنظر إليها، فأعجبه ما رأى من ثمرها، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم صلى، فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنة، فجاء عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وهو يومئذٍ خليفة فذكر له ذلك وقال: هو صدقة فاجعله في سبيل الخير، فباعه عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بخمسين ألفاً، فسمّي ذلك الحائط الخمسون، والقف: واد من أودية المدينة، وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لا يعجبه شيء من ماله إلاّ خرج عنه لله تعالى، وكان رقيقه يعرفون منه ذلك، فربما لزم أحدهم المسجد فإذا رآه ابن عمر رضي الله تعالى عنهما على تلك الحالة الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: إنّهم يخدعونك، فيقول: من خدعنا بالله تعالى انخدعنا له وطلب منه خادم بثلاثين ألفاً، فقال: أخاف أن تفتنني دراهم ابن عامر، وكان هو الطالب له فقال للخادم: اذهب فأنت حر لله تعالى، ولذلك قال أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: ما منا أحد إلا وقد مالت به الدنيا إلا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، ولم يمت إلى أن أعتق ألف نسمة أو أكثر من ذلك، ومناقبه وفضائله رضي الله تعالى عنه لا تحصى، قال حجة الإسلام الغزالي: وكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمادة الفكرة وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة، وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ولا يغني غيره. ومن طبع الدبسي أنّه لا يرى ساقطاً على وجه الأرض، بل في الشتاء له مشتى وفي الصيف له مصيف ولا يعرف له وكر.

وحكمه: الحل بالاتفاق، وفي «**سنن البيهقي**» عن ابن أبي ليلى عن عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّه قال في الخضري والدبسي والقمري والقطار والحجل: إذا قتله المحرم شاة شاة.

الخواص: قال صاحب «**المنهاج في الطب**» أنّه أفضل الطير البري، وبعده الشحرور والسماني، ثم الحجل والدراج وفراخ الحمام والورشان وهو حار يابس، والدباساء ممدوداً الأنثى من الجراد، وهو في المنام كالسماني، وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام عليهما في باب السين المهملة، فلينظر هناك.

الدجاج: مثلث الدال حكاه ابن معن الدمشقي وابن مالك وغيرهما، الواحدة دجاجة، الذكر والأنثى فيه سواء والهاء فيه كبطة وحمامة. قال ابن سيده: سميت الدجاجة دجاجة لإقبالها وإدبارها، يقال: دج القوم يدجون دجيجاً إذا مشوا مشياً رويداً في تقارب خطو؛ وقيل: هو أن يقبلوا ويدبروا، وقال الأصمعي: الدجاجة بالفتح الواحدة من الدجاج، وبالكسر الكبة من الغزل. وقال غيره: الكبة من الغزل دجاجة بفتح الدال أيضاً، قال الإمام ابن بيدار في «**شرح الفصيح**». وكنية الدجاجة أم الوليد وأم حفصة وأم جعفر وأم عقبة وأم إحدى وعشرين

وأم قوب وأم نافع، وإذا هرمت الدجاجة لم يكن لبيضها مح وإذا كانت كذلك لم يخلق منها فرخ، ومن عجيب أمرها أنّه يمر بها سائر السباع فلا تخشاها، فإذا مر بها ابن آوى وهي على سطح أو جدار أو شجرة رمت بنفسها إليه. وتوصف الدجاجة بقلة النوم وسرعة الانتباه يقال: إنّ نومها واستيقاظها إنّما هو بمقدار خروج النفس ورجوعه، ويقال: إنّها تفعل ذلك من شدة الجبن، وأكثر ما عندها من الحيلة أنّها لا تنام على الأرض بل ترتفع على رف أو على جذع أو جدار أو ما قارب ذلك، وإذا غربت الشمس فزعت إلى تلك العادة وبادرت إليها. والفرخ يخرج من البيضة كاسباً كاسياً ظريفاً مقبولاً سريع الحركة يدعى فيجيب، ثم هو كلما مرت عليه الأيام حمق ونقص حسنه وكيسه، وزاد قبحه فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميع ما كان فيه إلى أن يصير إلى حالة لا يصلح فيها إلا للذبح أو الصياح أو البيض. والدجاج مشترك الطبيعة يأكل اللحم والذباب، وذلك من طباع الجوارح، ويأكل الخبز ويلتقط الحب، وذلك من طباع البهائم والطير. ويعرف الديك من الدجاجة وهو في البيضة، وذلك أنّ البيضة إذا كانت مستطيلة محدودة الأطراف فهي مخرج الإناث، وإذا كانت مستديرة عريضة الأطراف، فهي مخرج الذكور، والفرخ يخرج من البيضة تارة بالحضن وتارة بأن يدفن في الزبل ونحوه. ومن الدجاج ما يبيض مرتين في اليوم والدجاجة تبيض في جميع السنة إلاّ في شهرين منها شتويين، ويتم خلق البيض في عشرة أيام، وتكون البيضة عند خروجها لينة القشر، فإذا أصابها الهواء يبست، وهي تشتمل على بياض وصفرة بينهما قشر رقيق يسمى قميصاً ويعلوه قشر صلب، فالبياض رطوبة مختلطة لزجة متشابهة الأجزاء، وهي بمنزلة المني، والصفرة رطوبة سلسة ناعمة أشبه شيء بدم قد جمد وهي للفرخ مادة يغتذي بها من سرته. والذي يتكون من الرطوبة البيضاء عين الفرخ، ثم دماغه، ثم رأسه، ثم ينحاز البياض في لفافة واحدة هي جلدة الفرخ، وتنحاز الصفرة في غشاء واحد هي سرته، فيتغذّى منها كتغذّي الجنين من سرّته من دم الحيض، وربّما وجد في البيضة الواحدة محان أصفران، فإذا حضنت هذه البيضة خرج منها فرخان، وقد شوهد ذلك، وأغذى البيض وألطفه ذوات الصفرة وأقلّه غذاء ما كان من دجاج لا ديك لها، وهذا النوع من البيض لا يتولد منه حيوان، ولا ممّا يباض في نقصان القمر على الأكثر، لأنّ البيض من الاستهلال إلى الإبدار يمتلىء ويرطب، فيصلح للكون وبالضد من

الإبدار إلى المحاق. ويعرف الفرخ الذكر من الأنثى بعد عشرة أيام بأن يعلق بمنقاره، فإن تحرك فذكر وإن سكن فأنثى. وقد وصف الشعراء البيضة بأوصاف مختلفة، منها قول أبي الفرج الأصبهاني من أبيات:

فيها بدائعُ صنعةٍ ولطائف أُلِّفْنَ بالتقدير والتعليقِ
خلطانِ مائيان ما اختلطا على شكلٍ ومختلف المزاج رقيقِ

روى ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ أمر الأغنياء باتخاذ الغنم، وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج، وقال: «**عند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله تعالى بهلاك القرى**»، وفي إسناده **علي بن عروة الدمشقي** قال ابن حبان: كان يضع الحديث، قال عبد اللطيف البغدادي: إنّما أمر **الأغنياء باتخاذ الغنم** والفقراء باتخاذ الدجاج لأنّه أمر كل قوم بحسب مقدرتهم، وما تصل إليه قوّتهم، والقصد من ذلك كلّه أن لا يقعد الناس عن الكسب، وإنماء المال وعمارة الدنيا وأن لا يدعوا التسبب، فإنّ ذلك يوجب التعفف والقناعة، وربّما أدّى إلى الغنى والثروة، وترك الكسب والإعراض عنه يوجب الحاجة والمسألة للناس والتكفف منهم، وذلك مذموم شرعاً، وأمّا قوله: «**عند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله تعالى بهلاك القرى**»، يعني أنّ الأغنياء إذا ضيقوا على الفقراء في مكاسبهم وخالطوهم في معايشهم تعطل سببهم وهلكوا، وفي هلاك الفقراء بوار، وفي ذلك هلاك القرى وبوارها.

وفي آخر البخاري وغيره أنّ النبيّ ﷺ قال: «**تلك الكلمة من الحق يختطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة**»، وذكر الإمام العلاّمة أبو الفرج بن الجوزي في «**الأذكياء**» عن أحمد بن طولون صاحب مصر أنّه جلس يوماً في منتزه له يأكل مع ندمائه، فرأى سائلاً وعليه ثوب خلق، فوضع يده في رغيف ودجاجة وقطعة لحم، وفالوذج وأمر بعض الغلمان بمناولته، فأخذ ذلك الغلام وذهب به إلى السائل، ورجع فذكر أنّه ما هشّ له ولا بش، فقال ابن طولون للغلام: ائتني به، فأحضره بين يديه، فاستنطقه فأحسن الجواب، ولم يضطرب من هيبته، فقال له: أحضر لي الكتب التي معك وأصدقني عمّن بعث بك، فقد صح عندي أنّك صاحب خبر، وأحضر السياط، فاعترف له بذلك، فقال بعض من حضر: هذا والله السحر، فقال أحمد: ما هو بسحر ولكنه قياس صحيح وفراسة، وذلك أنّي لما رأيت سوء حاله، وجهت إليه بطعام يشره إلى أكله الشبعان، فما هش ولا بش ولا مد يده إليه، فأحضرته وخاطبته فتلقاني بقوّة جأش وجواب حاضر، فلمّا رأيت رثاثة حاله وقوّة جأشه وسرعة جوابه علمت أنّه صاحب خبر، انتهى.

وقال ابن خلكان في «**ترجمته**»: كان أبو العباس أحمد بن طولون صاحب الديار المصرية والشامية والثغر ملكاً عادلاً شجاعاً متواضعاً حسن السيرة، يحب أهل العلم، كريماً له مائدة يحضرها الخاص والعام، كثير الصدقة، نقل أنّه قال له وكيله يوماً: إنّ المرأة تأتيني وعليها

الإزار الرفيع، وفي يدها الخاتم الذهب، فتطلب منّي أفأعطيها؟ فقال له: من مد يده إليك فأعطه، وكان يحفظ القرآن ورزق حسن الصوت فيه، وكان مع ذلك طائش السيف سفاك الدماء، قيل إنّه أحصي من قتله صبراً ومن مات في حبسه فكان ثمانية عشر ألفاً، توفّي سنة سبعين ومائتين بزلق الأمعاء، ويقال إنّ ابن طولون تبنّاه ولم يكن ابنه، وروي أنّ رجلاً كان يواظب القراءة على قبره، فرآه ذات ليلة في المنام، فقال: أحب منك أن لا تقرأ علي، قال: ولم؟ قال: لأنّه لا تمر بي آية إلاّ قرعت بها ويقال لي: أما سمعت هذه؟ أما مرت بك هذه؟ ا هـ. وروى الإمام الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» أنّ سليمان بن عبد الملك رحمه الله تعالى كان نهماً في الأكل، وقد نقل عنه فيه أشياء غريبة، فمنها أنّه اصطبح في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية وأربعين بيضة وأربع وثمانين كلوة بشحمها، وثمانين جردقة ثم أكل مع الناس على السماط العام. ومنها أنّه دخل ذات يوم بستاناً له وكان قد أمر قيّمه أن يجني ثماره ويستطيب له، وكان معه أصحابه فأكل القوم حتى اكتفوا، واستمر هو يأكل، فأكل أكلاً ذريعاً، ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها، ثم أقبل على الفاكهة فأكل أكلاً ذريعاً، ثم أتي بدجاجتين مشويتين فأكلهما، ثم مال إلى الفاكهة فأكل أكلاً ذريعاً، ثم أتي بقعبٍ يقعد فيه الرجل مملوء سمناً وسويقاً وسكّراً، فأكله أجمع، ثم سار إلى دار الخلافة وأتي بالسماط فما نقص من أكله شيء، ومنها أنّه حجّ، فأتى الطائف فأكل سبعمائة رمّانة وخروفاً وست دجاجات، وأتي بمكوك زبيب طائفي فأكله أجمع. وقيل إنّه كان له بستان فجاء رجل ليضمنه ودفع لهُ قدراً من المال، فاستؤذن في ذلك، فدخل البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره، ثم أذن في ضمانه فلمّا قيل للضامن: احمل المال قال: كان ذلك قبل أن يدخله أمير المؤمنين. قيل: كان سبب مرضه أنّه أكل أربعمائة بيضة وثمانمائة حبّة تين، وأربعمائة كلوة بشحمها وعشرين دجاجة، فحم وفشت الحمى في عسكره، وكان موته بالتخمة رحمة الله تعالى عليه في مرج دابق.

فائدة: ذكر بعض العلماء: أن من أكل كثيراً وخاف على نفسه من التخمة فليمسح على بطنه وليقل: الليلة ليلة عيدي يا كرشي ورضي الله عن سيدي أبي عبد الله القرشي، يفعل ذلك ثلاثاً، فإنّه لا يضرّه الأكل، وهو عجيب مجرّب.

وقد روينا بأسانيد شتّى من طرق مختلفة أنّ امرأة جاءت بولدها إلى سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني قدّس الله روحه، وقالت: إنّي رأيت قلب ابني هذا شديد التعلّق بك، وقد خرجت عن حقّي فيه لله عزّ وجل ولك، فاقبله، فقبله الشيخ وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق، فدخلت عليه أمّه يوماً، فوجدته نحيلاً مصفرّاً من آثار الجوع والسهر، ووجدته يأكل قرصاً من الشعير، فدخلت إلى الشيخ فوجدت بين يديه إناء فيه عظام دجاجة مصلوقة قد أكلها، فقالت: يا سيّدي تأكل لحم الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير؟ فوضع الشيخ يده على تلك العظام، وقال: قومي بإذن الله تعالى الذي يحيي العظام وهي رميم، فقامت دجاجة سوية وصاحت، فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء.

وذكرَ ابن خلكان أيضاً في ترجمة الهيثم بن عدي أنّ رجلاً من الأوّلين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية، فجاءه سائل فردّه خائباً، وكان الرجل مترفاً، فوقع بينه وبين امرأته فرقة، وذهب ماله، وتزوّجت امرأته، فبينما الزوج الثاني يأكل وبين يديه دجاجة مشوية إذ جاءه سائل، فقال لامرأته. ناوليه الدجاجة، فناولته ونظرت إليه، فإذا هو زوجها الأوّل، فأخبرت زوجها الثاني بالقصّة، فقال الزوج الثاني: وأنا والله ذلك المسكين الأوّل، خوّلني الله نعمته وأهلك لقلّة شكره. وقال الهيثم: خرجت في سفر على ناقة، فأمسيت عند خيمة أعرابي، فنزلت فقالت ربّة الخباء: من أنت؟ فقلت: ضيف، قالت: وما يصنع الضيف عندنا؟ إنّ الصحراء لواسعة، ثم قامت إلى بر فطحنته وعجنته وخبزته، ثم قعدت تأكل، فلم ألبث أن جاء زوجها ومعه لبن، فسلّم ثم قال: من الرجل؟ قلت: ضيف، قال: أهلاً وسهلاً حيّاك الله، وملأ قعباً من لبن وسقاني، ثم قال: ما أراك أكلت شيئاً، وما أراها أطعمتك، فقلت: لا والله، فدخل عليها مغضباً، وقال: ويلك أكلت وتركت الضيف؟ قالت: وما أصنع به أطعمه طعامي؟ وزاد بينهما الكلام فضربها حتى شجّها ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتي فنحرها، فقلت: ما صنعت عافاك الله؟ فقال: والله لا يبيت ضيفي جائعاً، ثم جمع حطباً وأجّج ناراً، وأقبل يشوي ويطعمني ويأكل ويلقي إليها ويقول: كلي لا أطعمك الله، حتى إذا أصبح تركني ومضى، فقعدت مغموماً، فلمّا تعالى النهار أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر من النظر إليه، وقال: هذا مكان ناقتك، ثم زوّدني من ذلك اللحم وممّا حضره، وخرجت من عنده فضمّني الليل إلى خيمة أعرابي، فسلّمت فردت صاحبة الخباء عليَّ السلام وقالت: من الرجل؟ قلت: ضيف، فقالت: مرحباً بك حيّاك الله وعافاك، فنزلت ثم عمدت إلى بر فطحنته وعجنته وخبزته، ثم روت ذلك بالزبد واللبن ووضعته بين يدي ومعه دجاجة مشوية، وقالت: كل واعذر، فلم ألبث إذ أقبل أعرابي كريه المنظر فسلّم، فرددت عليه السلام، فقال: من الرجل؟ قلت: ضيف، قال: وما يصنع الضيف عندنا؟ ثم دخل إلى أهله وقال: أين طعامي، قالت: أطعمته للضيف، فقال: أتطعمين طعامي للأضياف، ثم تكالما فضربها فشجّها، فجعلت أضحك، فخرج إليّ وقال: ما يضحكك؟ فأخبرته بقصة الرجل والمرأة اللذين نزلت عندهما قبله، فأقبل علي وقال: إنّ هذه المرأة التي عندي أخت ذلك الرجل، وتلك المرأة التي عنده أختي، قال: فنمت ليلتي متعجّباً، فلمّا أن أصبحت انصرفت.

الحكم: يحل أكل الدجاج لأنّه من الطيّبات، لمّا روى الشيخان والترمذي والنسائي عن زهدم بن مضرب الجرمي قال: كنّا عند أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فدعا بمائدة عليها لحم دجاج، فدخل رجل من بني تيم الله أحمر شبيه بالموالي، فقال له: هلمّ، فتلكّأ، فقال هلمّ، فإنّي رأيت رسول الله ﷺ يأكل منه، وفي لفظ: رأيت النبيّ ﷺ يأكل دجاجة. وهذا الرجل إنّما تلكّأ لأنّه رآه يأكل العذرة فقذّره، ويحتمل أن يكون تردد لالتباس الحكم عليه، أو لم يكن عنده

دليل، فتوقّف حتى يعلم حكم الله تعالى، وقد جاء النهي عن لبن الجلالة ولحمها وبيضها، وفي **الكامل والميزان** في ترجمة غالب بن عبيد الله الجذري وهو متروك عن نافع عن ابن عمر ﷺ أنّ النبيّ ﷺ كان إذا أراد أن يأكل دجاجة أمر بها فربطت أيّاماً، ثم يأكلها بعد ذلك.

وفي فتاوى القاضي حسين: لو قال رجل لامرأته: إن لم تبيعي هذه الدجاجة فأنت طالق، فقتلت واحدة منهن طلقت لتعذر البيع، وإن جرحتها ثم باعتها، فإن كانت بحيث لو ذبحت لم تحل لم يصح البيع ووقع الطلاق وإلاّ فتحل اليمين.

فرع: لا يجوز بيع دجاجة فيها بيض ببيض، كما لا يجوز بيع شاة في ضرعها لبن بلبن، ويحرم بيع الحنطة بدقيقها والسمسم بكسبه وما أشبهه لأنّه يحرم بيع مال الربا بأصله المشتمل عليه.

فرع: البيضة التي في جوف الطائر الميت فيها ثلاثة أوجه، حكاها الماوردي والروياني والشاشي، أصحّها وهو قول ابن القطان وأبي الفياض، وبه قطع الجمهور أنّها إن تصلبت فطاهرة، وإلاّ فنجسة، والثاني طاهرة مطلقاً، وبه قال أبو حنيفة لتميزها عنه، فصارت بالولد أشبه، والثالث نجسة مطلقاً، وبه قال مالك لأنّها قبل الانفصال جزء من الطائر، وحكاه المتولي عن نص الشافعي رضي الله عنه وهو نقل غريب شاذ ضعيف، وقال صاحب الحاوي والبحر: فلو وضعت هذه البيضة تحت طائر فصارت فرخاً كان الفرخ طاهراً على الأوجه كلّها كسائر الحيوان، ولا خلاف أنّ ظاهر البيضة نجس، وأمّا البيضة الخارجة في حال حياة الدجاجة، فهل يحكم بنجاسة ظاهرها؟ فيه وجهان حكاهما الماوردي والروياني والبغوي وغيرهم بناء على الوجهين في نجاسة رطوبة فرج المرأة، قال في «**المهذب**» إنّ المنصوص نجاسة رطوبة فرج المرأة، وقال الماوردي إنّ الشافعي رضي الله عنه قد نصّ في بعض كتبه على طهارتها، ثم حكى التنجيس عن ابن سريج، فملخّص الخلاف فيها قولان لا وجهان، وقال الإمام النووي: رطوبة الفرج طاهرة مطلقاً سواء كان الفرج من بهيمة أو امرأة، وهو الأصح، وإذا فرعنا على نجاسة رطوبة الفرج، فنقل النووي في «**شرح المهذب**» عن فتاوى ابن الصباغ ولم يخالفه أنّ المولود لا يجب غسله إجماعاً، وقال في آخر باب الآنية من الشرح المذكور أنّ فيه وجهين حكاهما الماوردي والروياني، وقد حكاهما الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في «**فتاويه**»، ورأيت في «**الكافي**» للخوارزمي أنّ الماء لا ينجس بوقوعه فيه، فيحتمل أن يكون الخلاف مفرعاً على القول القديم بعدم وجوب الغسل لكونه نجساً معفواً عنه، وأمّا إذا انفصل الولد حيّاً بعد موته فعينه طاهرة بلا خلاف، ويجب غسل ظاهره بلا خلاف، وأمّا البلل الخارج مع الولد أو غيره فنجس، كما جزم به الرافعي في «**الشرح الصغير**»، والنووي في «**شرح المهذب**»، وقال الإمام: لا شك فيه. وأمّا الرطوبة الخارجة من باطن الفرج فإنّها نجسة كما تقدّم، وإنّما قلنا

بطهارة ذكر المجامع ونحوه على ذلك القول لأنّا لا نقطع بخروجها، قال في «**الكفاية**»: والفرق بين رطوبة فرج المرأة ورطوبة باطن الذكر لأنّها لزجة لا تنفصل بنفسها ولا تمازج سائر رطوبات البدن فلا حكم لها، قلت: والرطوبة هي ماء أبيض متردد بين المذي والعرق، كما قاله في «**شرح المهذب**» وغيره، وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام على الجلالة من الدجاج وغيره في باب السين المهملة في حكم السخلة، والله الموفق.

الأمثال: قالوا: أعطف من أم إحدى وعشرين وهي الدجاجة كما تقدّم.

الخواص: لحم الدجاج معتدل الحرارة جيد. وأكل لحم الفتي من الدجاج يزيد في العقل والمني، ويصفّي الصوت، لكنّه يضر بالمعدة والمرتاضين، ودفع مضرته أن يتناول بعده شراب العسل، وهو يولد غذاء معتدلاً يوافق من الأمزجة المعتدلة، ومن الإنسان الفتيان ومن الأزمان الربيع.

واعلم أنّ الدجاج المعتدلة ليست حارة مستحيلة إلى الصفراء ولا باردة مولدة للبلغم ولا أعلم من أين أجمعت العامة والأطباء الأغمار على مضرّتها بالنقرس وتوليدها له، والقائلون بذلك لعلّهم معتقدون بالخاصية حسب لا غير، وهي محسنة للون، وأدمغتها تزيد في الأدمغة والعقل، وهي من أغذية المترفهين لاسيّما من قبل أن تبيض. وأمّا بيضها فحار مائل إلى الرطوبة واليبس، وقال بياروق: بياضه بارد رطب وصفرته حارة جيدة للكاد، والطري منفعته تزيد في الباه، لكنّه إذا أدمن من أكله يولد كلفاً، وهو بطيء الهضم، ودفع ضرره بالاقتصار على صفرته، وهو يولد خلطاً محموداً. واعلم أنّ أجود البيض للإنسان بيض الدجاج والدراج إذا كانا طريين معتدلي النضج، فإنّ الصلب إمّا أن يتخم أو يورث حمى وهو يلبث طويلاً ويغذو إذا انهضم كثيراً، والنيمرشت يغذو غذاءً كثيراً، والمسلوق بخل يعقل البطن، والساذج ينفع من حرارة المعدة، والمثانة ونفث الدم، ويصفي الصوت، وأنفع السليق ما ألقي على الماء وهو يغلي عد مائة ورفع. وممّا ينفع لحل المعقود أن تكتب على جوانب السيف هذه الأحرف: بكصم لا لا و م ما ما لا لا لا ه ه ه، وتقطع به بيضة دجاجة سوداء نظيفة مناصفة، فتأكل المرأة النصف والرجل النصف، فإنّه مجرّب، وهو يحل اثنين وسبعين باباً بإذن الله تعالى. وممّا ينفع لحل المعقود أيضاً أن يكتب ويعلق في عنق الرجل: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: 11-14]. وممّا جرّب أيضاً لحل المعقود أن تكتب وتعلّق عليه الفاتحة والإخلاص والمعوّذتين و ج﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طـــــه: 105-107]، ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإســـراء: 82]، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ

دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: 143]، ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن: 19-20]﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54]، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: 111]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 3]، وتكتب اسم الرجل والمرأة في آخر الكتاب، وتقول: اللّهم إنّي أسألك أن تجمع بين فلان بن فلانة وبين فلانة بنت فلانة بحق هذه الأسماء الآيات، إنّك على كل شيء قدير باهيا شراهيا أصبأوت آل شداي ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، في في في في في تم وكمل.

وقال ابن وحشية: ودماغ الدجاجة إذا وضع على لسعة الحيّة خاصة أبرأتها. وقال القزويني: إذا طُبخت الدجاجة مع عشر بصلات بيض وكف سمسم مقشور حتى تتهرى ويُؤكل لحمها ويُشرب مرقتها فإنّه يزيد في الباه ويقوّي الشهوة. وقال غيره: المداومة على أكل الدجاج تورث البواسير والنقرس، وهذا قول جاهل بالطب وهو قول أغمار الأطباء كما تقدم. قال القزويني: وفي قانصة الدجاجة حجر إذا شد على المصروع أبرأه، وإذا علّق على إنسان زاد في قوّة الباه، ويدفع عنه عين السوء، وإذا ترك تحت رأس الصبي فإنّه لا يفزع في نومه.

وذرق الدجاجة السوداء إذا ألصق على باب قوم وقع بينهم الخصومة والشر، وإذا طلي الذكر بمرارة الدجاجة السوداء وجامع من شاء لم ينله أحد بعده، وإذا دفنت رأس دجاجة سوداء في كوز جديد تحت فراش رجل قد خاصم زوجته صالحها من وقته. وإذا احتمل رجل من دهن الدجاجة السوداء قدر أربعة دراهم هيّج الباه، وإذا أُخذ عينا دجاجة سوداء شديدة السوداء وعينا سنور أسود وجففن وسحقن واكتحل بهن رأى من يفعل ذلك الروحانيين فإن سألهم أخبروه بما يريد، والله أعلم.

التعبير: الدجاج في المنام نساء ذليلات مهينات، فالرقادة ذات نشاط وأصالة وبدالة، والدبيبة امرأة دنيئة الأصل أو خائنة، وفروخها أولاد زنا، وربّما دلّت الدجاجة على المرأة ذات الأولاد، ودخولها على المريض عافيته، وآذان الدجاجة شر ونكد أو موت، وكذلك الفروخ ربّما دلّ دخولها على السليم على إنذار بمرض يحتاج فيها إليها، وربّما دلّ دخولها على زوال الهموم والأنكاد، وعلى الأفراح والتظاهر بالرفاهية والنعم. والفروج ولد أو ملبوس مفرح أو فرج لمن هو في شدّة، وربّما كانت الدجاجة في المنام تدل رؤيتها على امرأة رعناء حمقاء ذات جمال أو سرية أو خادم، فمن رأى كأنّه ذبح دجاجة افتض جارية، ومن صادها نال ولاية ومالاً هنيئاً من العجم، ومن رأى الدجاج أو الفراريج تساق من مكان إلى مكان فإنّه سبي، ومن رأى الدجاج أو الطواويس تهدر في منزله في فإنّه صاحب فجور، وريش الدجاج مال، والبيض في المنام يعبر بالنساء لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: 49]، والبيضة الواحدة لمن رآها

بيده فإن كانت زوجته حاملاً فإنّها تضع له بنتاً، وإن كان أعزب تزوّج، ومن رأى البيض يحرف من مكان إلى مكان كما تجرف الزبالة فإنّه سبي نساء ذلك المكان، ومن رأى بيضاً نيئاً وهو يأكله فإنّه يأكل مالاً حراماً، والمطبوخ رزق حلال بتعب، وإذا رأت الحامل كأنّها أعطيت بيضة مقشّرة فإنّها تلد بنتاً، وفراريج الدجاج أولاد زنا، ومن قشّر بيضة فأكل بياضها ورمى صفارها فإنّه نباش للقبور، ويأخذ أكفان الموتى لما روي عن ابن سيرين أنّه أتاه رجل فقال: إنّي رأيت كأنّي أقشّر بيضة وأرمي صفارها وآكل بياضها، فقال ابن سيرين: هذا رجل نباش للقبور، فقيل له: من أين أخذت هذا؟ فقال: البيضة القبر والصفار الجسد، والبياض الكفن، فيلقي الميت ويأكل ثمن الكفن وهو البياض. وحكي أنّ امرأة أتت ابن سيرين فقالت: رأيت كأنّي أضع البيض تحت الخشب فتخرج فراريج، فقال ابن سيرين: ويلك، اتّقي الله فإنّك امرأة توفقين بين الرجال والنساء فيما لا يحبه الله عزّ وجل، فقال له جلساؤه: قذفت المرأة يا محمد من أين أخذت ذلك؟ فقال: من قوله تعالى في النساء يشبّههن بالبيض: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: 49]، وقال جلّ وعلا يشبّه المنافقين بالخشب: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: 4]، فالبيض هو النساء، والخشب هم المفسدون، والفراريج هم أولاد الزنا، والله أعلم.

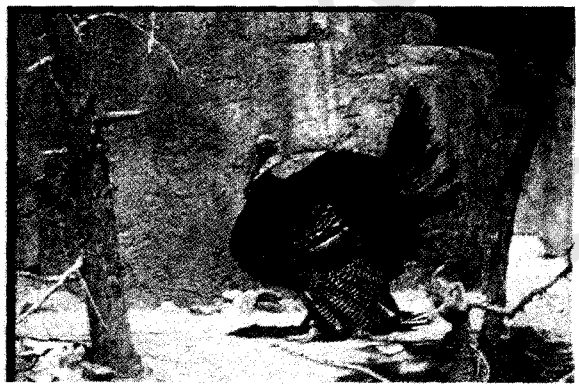

الدجاجة الحبشية: هي نوع ممّا تقدّم، قال الشافعي: يحرم على المحرم الدجاجة الحبشية لأنّها وحشية تمتنع بالطيران وإن كانت ربّما ألفت البيوت، قال القاضي حسين: الدجاجة الحبشية شبيهة بالدراج، قال: وتسمّى بالعراق الدجاجة السندية، فإن أتلفها لزمه الجزاء، وقال مالك: لا جزاء في دجاج الحبش على المحرم لاستئناسه، وكذلك كل ما تأنس من الوحشي عند الشافعي فيه الجزاء خلافاً لمالك، والدجاج الحبشي هو الدجاج البريّ، وهو في الشكل واللون قريب من الدجاج يسكن في الغالب سواحل البحر، وهو كثير ببلاد المغرب يأوي مواضع الطرفاء ويبيض فيها. قال الجاحظ: ويخرج فراخه، وكذلك فراخ الطاوس، والبط السندي كيسة كاسبة تلتقط الحب من ساعتها كفراخ الدجاج الأهلي، ويقال له الغرغر، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى باب الغين المعجمة.

الدج: طائر صغير في حد اليمام من طير الماء سمين طيّب اللحم، وهو كثير بالإسكندرية وما يشابهها من بلاد السواحل، قاله ابن سيّده.

الدحرج: بضم الدال المهملة دويبة، قاله ابن سيّده.

الدخّاس: كنحّاس، دويبة تغيب في التراب، والجمع الدخاخيس.

الدخس: بضم الدال المهملة وتشديد الخاء المعجمة ضرب من السمك، وهو الدلفين، قاله ابن سيّده أيضاً. وقال الجوهري: الدخس مثال الصرد دويبة في البحر تنجي الغريق، تمكنه من ظهرها ليستعين على السباحة، وتسمّى الدلفين، وسيأتي قريباً إن شاء الله تعالى في هذا الباب.

الدخل: بتشديد الخاء المعجمة أيضاً، طائر صغير، والجمع: الدخاخيل، وهو أغبر يسقط على رؤوس الشجر والنخل، واحدته دخلة، وفي «**أدب الكاتب**» لابن قتيبة: الدخل: ابن تمرة.

الدُّرَّاج: بضم الدال وفتح الراء المهملتين، كنيته أبو الحجّاج وأبو خطار وأبو ضبة، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الضاد المعجمة الساقطة، واحدته دراجة. وهو طائر مبارك كثير النتاج، مبشّر بالربيع، وهو القائل: بالشكر تدوم النعم، وصوته مقطع على هذه الكلمات، وتطيب نفسه على الهواء الصافي وهبوب الشمال، ويسوء حاله بهبوب الجنوب حتى إنّه لا يقدر على الطيران، وهو طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر على خلقة القطا إلاّ أنّه ألطف.

والدراج اسم يطلق على الذكر والأنثى حتى تقول الحيقطان فيختص بالذكر، وأرض مدرجة أي ذات دراج، كذا قاله الجوهري، وقال سيبويه: واحدة الدراج درجوج، والديلم لم يذكر الدراج، وقال ابن سيّده: الدراج طائر شبيه بالحيقطان، وهو طير العراق، قال ابن دريد: أحسبه مولداً وهو الدرجة مثل الرطبة، وأمّا الجاحظ فجعله من أقسام الحمام لأنّه يجمع فراخه تحت جناحيه كما يجمع الحمام، ومن شأنه أنّه لا يجعل بيضه في موضع واحد، بل ينقله لئلا يعرف أحد مكانه، ولا يتسافد في البيوت، وإنّما يفعل ذلك في البساتين، قال أبو الطيب المأموني يصف دراجة:

قد بعثنا بذات حُسْن بديع ... كنبات الربيع بل هي أحسن
في رداء من جُلَّنار وآس ... وقميص من ياسمين وسوسن

وسيأتي إن شاء الله تعالى في القيج زيادة في نعتها في باب القاف. قال الجاحظ: وهو من الخلق الذي لا يسمن بل يعظم إذا عظم، لم يحمل اللحم.

وحكمه: الحل لأنّه إمّا من الحمام أو من القطا، وهما حلالان.

الأمثال: قالوا: فلان يطلب الدراج من خيس الأسد يضرب لمن يطلب ما يتعذّر وجوده.

الخواص: يؤخذ شحمه فيذوب بدهن كادي ويقطر في الأذن الوجعة ثلاث قطرات

يمكن وجعها بإذن الله تعالى. قال ابن سينا: لحمه أفضل من لحم الفواخت وأعدل وألطف، وأكله يزيد في الدماغ والفهم والمني.

التعبير: الدراج في المنام مال، وقيل امرأة مملوكة، فمن ملكه أو رآه عنده، فإنّه يملك مالاً أو سرية أو مملوكاً أو يتزوّج، والله أعلم.

الدَّراج: بفتح الدال والراء المهملتين القنفذ، صفة غالبة عليه لأنّه يدرج ليله كلّه، قاله ابن سيّده.

فائدة أجنبية: استدراج الله تعالى العبد أنّه كلّما جدّد خطيئة جدّد الله نعمة وأنساه الاستغفار، وأن يأخذه قليلاً قليلاً ولا يباغته.

روى أحمد في «**الزهد**» عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنّما هو استدراج**»، ثم تلا قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44]، قال ابن عطية: روي عن بعض العلماء أنّه قال: رحم الله امرءاً تدبّر هذه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44]، وقال محمد بن النضر الحارثي: أمهل هؤلاء القوم عشرين سنة، وقال الحسن: والله ما أحد من الناس بسط الله تعالى له في الدنيا فلم يخف أن يكون قد مكر به فيها إلاّ كان قد نقص في عمله وعجز في رأيه، وما أمسكها الله تعالى عن عبد فلم يظن أنه خير له فيها إلاّ كان قد نقص في عمله وعجز في رأيه. وفي الخبر أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: إذا رأيت الفقر مقبلاً إليك فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً إليك فقل ذنب عجلت عقوبته.

الدرباب: طائر مركب من الشقراق، وذلك بين في لونه، وهو كما قال أرسطاطاليس في «**النعوت**» إنّه طائر يحب الإنس ويقبل التأديب والتربية، وفي صفيره وقرقرته أعاجيب وذلك أنّه ربّما أفصح بالأصوات، وقرقر كالقمري، وربّما حمحم كالفرس، وربّما صفر كالبلبل، وغذاؤه من النبت والفاكهة واللحم وغير ذلك، ومألفه الغياض والأشجار الملتفة، انتهى. قلت: وهذه صفة الطائر المسمّى عند الناس بأبي زريق، فإنّه على هذا النعت الذي ذكره، ويقال له القيق أيضاً، وسيأتي إن شاء الله تعالى له مزيد بيان في باب القاف.

الدرحرج: قال القزويني: إنّها دويبة مبرقشة بحمرة وسواد يقال: إنّها سم من أكلها تقرّحت مثانته وسد بوله وأظلم بصره وتورّم قضيبه وعانته، ويعرض له اختلاط في عقله.

وحكمها: التحريم لضررها بالبدن.

الدِرْص: بكسر الدال ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة والذئبة ونحوها، والجمع أدراص ودرصة، قال الهيلي في «**التعريف والأعلام**»: العرب تقول للأحمق: أبو

دراص للعبه بالأدراص، وهو جمع درص، وهو ولد الكلبة وولد الهرة ونحو ذلك، وكنية اليربوع أمّ أدراص، قاله الأصمعي.

الأمثال: قالت العرب: ضل دريس نفقه أي جُحْره، ويضرب لمن لا يعبأ بأمره قال طفيل:

فما أم أدراص بأرض مضلّة بأغدر من قيس إذا الليل أظلما

الدِرة: بضم الدال المهملة، الببغاء المتقدّمة في باب الباء الموحّدة، حكى الشيخ كمال الدين جعفر الأدفوي في كتابه «**الطالع السعيد**» في ترجمة محمد بن محمد **النصيبي** القوصي الفاضل المحدّث الأديب أنّه أخبره: أنّه حضر مرّة عند عزّ الدين بن البصراوي الحاجب بقوص، وكان له مجلس يجتمع فيه الرؤساء والفضلاء والأدباء، فحضر الشيخ علي الحريري، وحكى أنّه رأى درّة تقرأ سورة يسّ، فقال النصيبي: وكان غراب يقرأ سورة السجدة، فإذا جاء إلى محل السجدة سجد، ويقول: سجد لك سوادي واطمأنّ بك فؤادي.

الدساسة: بفتح الدال، حية صمّاء تندس تحت التراب اندساساً أي تندفن، وقيل هي شحمة الأرض، وستأتي إن شاء الله تعالى في باب الشين المعجمة.

الدعسوقة: بفتح الدال دويبة كالخنفساء، وربّما قيل ذلك للصبية والمرأة القصيرة تشبيهاً بها، قاله في «**المحكم**» وفي «**مختصر العين**» للزبيدي أيضاً، إلاّ أنّه ضبطه بالقلم بفتح الدال في نسخة صحيحة.

الدعموص: بضم الدال، دويبة تغوص في الماء، والجمع الدعاميص كبرغوث وبراغيث، وقال الهيلي: الدعموص سمكة صغيرة كحيّة الماء، ودعيميص اسم رجل كان داهياً، سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في باب الأمثال، ويقال: هذا دعيميص هذا الأمر أي عالم به، انتهى.

روى مسلم عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة رضي الله عنه إنّه قد مات لي اثنان من الولد، فهل أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، «**صغاركم دعاميص الجنّة**» أي لا يمنعون من بيت، «**فيلقى أحدهم أباه. أو قال: أبويه، فيأخذ بيده أو بثوبه كما آخذ أنا ببعض ثوبك هذا، فيقول: هذا فلان فلا يتناهى حتى يدخل هو وأبوه الجنّة**». وفي الحديث: أنّ رجلاً زنى، فمسخه الله تعالى دعموصاً.

وبعضهم يقول: الدعموص هو الآذن على الملك المتصرف بين يديه، قال أميّة بن أبي الصلت:

دعموص أبواب الملو ك وحاجب للخلق فاتح

قال الحافظ المنذري في «**الترغيب والترهيب**» في الكلام على هذا الحديث: **الدعاميص** بفتح الدال جمع دعموص بضمّها، وهي دويبة صغيرة يضرب لونها إلى السواد، تكون في الغدر أن شبّه الطفل بها في الجنّة لصغره وسرعة حركته، وقيل: هو اسم للرجل الزوار للملوك الكثير الدخول عليهم، والخروج لا يتوقف على إذن منهم ولا يخاف أين يذهب من ديارهم، شبّه طفل الجنّة به لكثرة ذهابه في الجنّة حيث شاء لا يمتنع من بيت فيها ولا موضع، وهذا قول ظاهر، انتهى.

قال الجاحظ: إذا كبر الناموس صار دعاميص، وهو يتولّد من الماء الراكد، وإذا كبر صار فراشاً، ولعل هذا هو عمدة من جعل الجراد بحرياً. والدعموص من الخلق الذي لا يعيش في ابتداء أمره إلاّ في الماء، ثم بعد ذلك يستحيل بعوضاً وناموساً.

فائدة: في فتاوى القاضي حسين أنّ دود الماء لو انشق أو ذاب فخرج منه ماء، كان ذلك الماء طهوراً يجوز منه التوضّؤ، وعلله بأنّ هذا الدود ليس بحيوان بل هو منعقد من بخار، يصعد من الماء فيشبه الدود، وهذا منه صريح في جواز شرب الدعاميص مع الماء لأنّها ماء منعقد، ويحتمل أن يكون منه اختياراً لأنّ دود الخل والفاكهة يعطى حكم ما يتولّد منه حتى يجوز أكله منفرداً، كما هو وجه في المذهب موجهاً بأنّه يشبهه طعماً وطبعاً، والظاهر أنّ هذا لا يوافق عليه، والمشهور خلاف ما قاله تفسيراً أو حكماً، وأنّ الدعموص محرم الأكل لاستقذاره لأنّه من الحشرات.

الأمثال: قالوا: أهدى من دعميص الرمل، وهو عبد أسود كان داهية خريتاً لم يكن يدخل في بلاد وبار غيره، فقام في الموسم وقال:

فمن يعطني تسعاً وتسعين بكرةً هجاناً أَرْدَماً ما أهدِها لوبار

فقام رجل من مهرة وأعطاه ما سأل وتحمّل معه بأهله وولده، فلمّا توسطوا الرمل طمست الجن عين دعميص، فتحيّر وهلك هو ومن معه في تلك الرمال، وفي ذلك يقول الفرزدق:

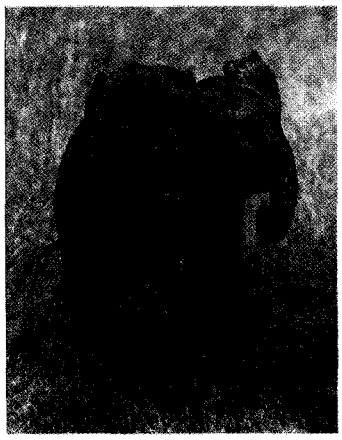

كهلاك ملتمس طريق وبار

الدغفل: كجعفر ولد الفيل، وذكر الثعالب أيضاً، وكان دغفل بن حنظلة النسابة أحد بني شيبان يسمّى بذلك، روى عنه الحسن البصري شيئاً من سنن رسول الله ﷺ وخولف فيه، ويقال: إنّ له صحبة ولم يصح ولم يعرفه أحمد بن حنبل، وروى عنه الحسن أنّه قال: كان على النصارى صوم شهر رمضان، فولّي عليهم ملك فمرض، فنذر

إن شفاه الله أن يزيد الصوم عشراً، ثم كان عليهم ملك بعده يأكل اللحم فمرض، فنذر إن شفاه الله أن لا يأكل اللحم ويزيد الصوم ثمانية أيّام، ثم كان ملك بعده، فقال: ما تدع هذه الأيام إلاّ أن نتمّها خمسين، ونجعلها في الربيع، فصارت خمسين يوماً، قال البخاري: لا يتابع دغفل على ذلك ولا يعرف للحسن سماع منه، وقال ابن سيرين: كان دغفل رجلاً عالماً لكن اغتلمته النساء، أرسل إليه معاوية رضي الله عنه يسأله عن أنساب العرب وعن النجوم وعن العربية وعن أنساب قريش، فأخبره، فإذا هو رجل عالم، فقال له: من أين حفظت هذا يا دغفل؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول، فأمره أن يعلّم ولده يزيد.

الدغناش: طائر صغير من أنواع العصافير أصغر من الصرد مخطط الظهر بحمرة، مطوق بالسواد والبياض، وهو شرير الطبع، شديد المنقار، يوجد كثيراً بسواحل البحر الملح وغيره.

وحكمه: الحل لأنّه من أنواع العصافير.

الدقيش: بضم الدال وفتح القاف، طائر صغير أصغر من الصرد وتسميه العامة الدقناس.

وحكمه: كالذي قبله، ولعله هو، ولكن تلاعبوا به فسمّوه تارة كذا وتارة كذا، وفي «**الصحاح**» قيل لأبي الدقيش الشاعر: ما الدقيش؟ قال: لا أدري إنّما هي أسماء نسمعها فنسمّى بها.

الدلدل: عظيم القنافذ، والدلدال: الاضطراب، وتدلدل السحاب أي تحرك متدلياً، وبه سمّيت بغلة النبيّ ﷺ التي أهداها له المقوقس، وفي حديث أبي مرثد الآتي إن شاء الله تعالى في العين، قالت عناق البغي: يا أهل الخيام هذا الدلدل الذي يحمل أسراكم، وإنّما شبّهته بالقنفذ لأنّه أكثر ما يظهر في الليل، ولأنّه يخفي رأسه في جسده ما استطاع، وقال الجاحظ: الفرق بين الدلدل والقنفذ، كالفرق بين البقر والجواميس، والبخاتي والعراب والجرذ والفأر، وهو كثير ببلاد الشام والعراق وبلاد المغرب في قدر الثعلب القلطي، وقال الإمام الرافعي: الدلدل على حد المخلة، ومن شأنه أنّه يسفد قائماً، وظهر الأنثى لاصق بظهر الرجل، والأنثى تبيض خمس بيضات، وليس هو بيضاً في الحقيقة إنّما هو على صورة البيض يشبه اللحم، ومن شأنه أن يجعل لجحره بابين أحدهما في جهة الجنوب، والآخر في جهة الشمال، فإذا ذهبت ريح سد باب جهتها، وإذا رأى ما يكرهه نقبض، فيخرج منه شوك كالمسال يجرح من أصابه، والشوك على ظهره نحو الذراع، وزعم بعض المتكلّمين على طبائع الحيوان أنّ الشوك الذي على ظهره نحو الذراع شعر، وأنّه لما غلظ البخار واشتدّ غلظه، وغلب عليه اليبس عند صعوده من المسام صار شوكاً.

الحكم: نص الشافعي على حله، رواه عنه ابن ماجه وغيره، وقال الرافعي: قطع الشيخ أبو محمد بتحريمه، وفي «**الوسيط**» أنّه كان يعده من الخبائث، وقال ابن الصلاح: هذا غير مرضي وكأنّه لم يعرف ما الدلدل وأعتقد ما بلغنا عن الشيخ أبي أحمد الأشنهي أنّه قال: الدلدل كبار السلاحف وهذا غير مرضي، والمحفوظ أنّه ذكر القنافذ وقطع بحله الماوردي، والروياني وغيرهما وهو الصواب.

الأمثال: قالوا: أسمع من دلدل.

وخواصه وتعبيره: كالقنافذ وستأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف.

الدلفين: الدخس وضبطه الجوهري في باب السين المهملة بضم الدال، فقال: الدخس: مثال الصرد دابة في البحر تنجي الغريق تمكنه من ظهرها ليستعين به على السباحة، ويسمّى الدلفين، وقال غيره: إنّه خنزير البحر، وهو دابة تنجي الغريق وهو كثير بأواخر نيل مصر من جهة البحر الملح، لأنّه يقذف به البحر إلى النيل، وصفته كصفة الزق المنفوخ، وله رأس صغير جداً، وليس في دواب البحر ماله رئة سواه، فلذلك يسمع منه النفخ والنفس، وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب في نجاته لأنّه لا يزال يدفعه إلى البر حتى ينجيه، ولا يؤذي أحداً ولا يأكل إلاّ السمك، وربّما ظهر على وجه الماء كأنّه ميت، وهو يلد ويرضع أولاده تتبعه حيث ذهب، ولا يلد إلاّ في الصيف، ومن طبعه الأنس بالناس وخاصة بالصبيان، وإذا صيد جاءت دلافين كثيرة لقتال صائده، وإذا لبث في العمق حيناً حبس نفسه وصعد بعد ذلك مسرعاً مثل السهم لطلب النفس، فإن كانت بين يديه سفينة وثب وثبة ارتفع بها عن السفينة، ولا يرى منها ذكر إلاّ مع أنثى.

الحكم: يحل أكله لعموم حل السمك إلاّ ما استثني منه، وليس هذا من المستثنيات كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الخواص: إذا غلي شحمه في حنظلة فارغة وقطر في الأذن نفع من الصمم، ولحمه بارد بطيء الهضم، وإذا علقت أسنانه على الصبيان لم يفزعوا، وأكل شحمه ينفع من أوجاع المفاصل، وشحم كلاه إذا أُذيب بالنار ودهن به مع دهن الزنبق وجه امرأة أحبها زوجها وطلب مرضاتها، وكفّاه يعلقان على من يفزع فيذهب فزعه، وإذا وضع نابه الأيمن في دهن ورد سبعة أيام ومسح به وجه إنسان كان محبوباً عند عامة الناس، ونابه الأيسر بالضد من ذلك.

التعبير: الدلفين تدل رؤيته على ما دلت عليه رؤية التمساح، وربّما دلت رؤيته على المكايد والاختفاء بالأعمال وعلى التلصص واستراق السمع، وربّما دلت رؤيته على كثرة الدعاء والمطر، قاله ابن الدقاق، وقال المقدسي: من رآه في المنام وكان خائفاً أمن ونجا لأنّه ينجي الغرقى، وكل حيوان يرى ممّا يخشى منه في اليقظة كالتمساح ونحوه، إذا كان خارج

الماء فهو عدو عاجز لا يقدر على مضرة من رآه في المنام لأنّ قوّته وبطشه في الماء، فإذا خرج منه زالت قوّته، والله أعلم.

الدلق: بالتحريك، فارسي معرب، وهو دويبة تقرب من السمور، قال عبد اللطيف البغدادي: إنّه يفترس في بعض الأحايين ويكرع الدم، وذكر ابن فارس في «**المجمل**» أنّه النمس، وفيه نظر، قال الرافعي: والدلق يسمّى ابن مقرص، وقال القزويني: إنّه حيوان وحشي عدو الحمام إذا دخل البرج لا يترك فيه واحداً، وتنقطع الثعابين عند صوته، وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام في باب الميم على ابن مقرص، وما وقع فيه للرافعي والنووي.

وفي رحلة ابن الصلاح عن «**كتاب لوامع الدلائل في زوايا المسائل**» للكيا الهراسي أنّه قال: يجوز أكل الفنك والسنجاب والدلق والقاقم والحوصل والزرافة كالثعلب، ثم إنّ ابن الصلاح كتب بخطّه: الدلق النمس فاستفدنا من هذا حل النمس والزرافة، وسيأتي إن شاء الله تعالى بيانهما في بابيهما.

الخواص: عينه اليمنى تعلق على من به حمى الربع تزول عنه بالتدريج، وإذا علق اليسرى عليه عادت، وشحمه إذا بخّر به برج الحمام هربت كلها، وهو يزيل الكلال الحاص للإنسان من أكل الحامض، ودمه يقطر في أنف المصروع منه نصف دانق ينفعه، وجلده يجلس عليه صاحب القولنج والبواسير ينفعه.

الدلم: نوع من القراد، قالت العرب في أمثالها: فلان أشد من الدلم.

الدلهاما: قال القزويني: هو شيء يوجد في جزائر البحار على هيئة إنسان راكب على نعامة يأكل لحوم الناس الذين يقذفهم البحر، وذكر بعضهم أنّه عرض لمركب في البحر فحاربهم وحاربوه، فصاح بهم صيحة خرّوا على وجوههم فأخذهم.

الدم: بكسر الدال السنور، حكاه في «**المحكم**» عن النضر في «**كتاب الوحوش**».

الدنة: بتشديد النون، دويبة كالنملة، قاله ابن سيده.

الدنيلس: معروف، وهو نوع من الصدف والحلزون، قال جبريل بن بختيشوع أنّه ينفع من رطوبة المعدة والاستسقاء.

وحكمه: حل الأكل لأنّه من طعام البحر ولا يعيش إلاّ فيه، ولم يأت على تحريمه دليل، كذا أفتى به الشيخ شمس الدين بن عدلان وعلماء عصره وغيرهم، وما نقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام من الإفتاء بتحريم أكله لم يصح، فقد نص الشافعي على أنّ حيوان البحر الذي لا يعيش إلاّ فيه يؤكل لعموم الآية ولقوله ﷺ: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»، ووراء ذلك وجهان، وقيل قولان، أحدهما: يحرم لأنّه ﷺ خصّ السمك بالحل، والثاني ما أكل شبهه في البر كالبقر والشاة حلال، وما لا كخنزير الماء وكلبه حرام، وعلى هذا لا يؤكل ما

أشبه الحمار، وإن كان في البر الحمار الوحشي حلالاً قال في «**كتاب التبيان فيما يحل ويحرم من الحيوان**» للشيخ عماد الدين الأقفسي، وقد نقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنّه كان يفتي بتحريم الدنيلس، قال: وهذا ممّا لا يرتاب فيه سليم الطبع.

قلت: وقد ذكر أرسطاطاليس في «**كتابه نعوت الحيوان**» أنّ السرطان لا يخلق بتولد ونتاج، وإنّما يتحيل في الصدف أي يتخلق فيه، ثم يخرج، ومنه ما يتولد ثم ينشق عنه الصدف ويخرج، كما أنّ البعوض يتولد من أوساخ المياه ونتنها، فقد استفدنا من كلام أرسطاطاليس ليس أنّ ما في داخل الدنيلس وغيره من الأصداف يتحيل سرطانات، وإذا كان الحيوان غير مأكول فأصله كذلك إلاّ على القول الضعيف، وسمعت عن بعض الفقهاء أنّه كان يفتي بحل الدنيلس، ويأخذه من كلام الأصحاب ما أكل مثله في البر أكل مثله في البحر، وقال: إنّ الدنيلس له نظير في البر وهو الفستق، وهذه غباوة منه لأنّ مراد الأصحاب ما أكل في البر من حيوان أكل مثله في البحر، ثم هل يجب مع ذلك ذبحه أم لا؟ فيه وجهان، وليس مرادهم تشبيه حيوان بحري بحمار بري حتى يصح القياس، وبالجملة فهذا القائل قد قاس الخبيث بالطيب، ويلزمه أن يقول بحل سائر المحار والأصداف، لأنّ الدنيلس محار صغير ثم يأخذ بعد ذلك في الكبر، والدليل على ذلك أنّه يوجد منه صغير وكبير، فإذا تكامل بقي محاراً، فينبغي القطع بتحريم الدنيلس لأنّه من أنواع الصدف، والصدف مستخبث كالسلحفاة والحلزون.

قال الجاحظ: والملاحون يأكلون البلبل وهو ما في جوفه الصدفة، وهذا يدل على أنّه غير مستطاب وإلاّ لما عده من خواص الملاحين، وأهل مصر يعيبون أهل الشام بأكلهم السرطان، وأهل الشام يعيبون أهل مصر بأكلهم الدنيلس، ولم أجد لهم مثلاً إلاّ قول الشاعر:

ومن العجائبِ والعجائبُ جمةٌ أن يلهجَ الأعمى بعيبِ الأعمشِ!

انتهى كلام الأقفهسي وهو مخالف لما ذكره المؤلف، والله أعلم.

الدهانج: بضم الدال، الجمل الضخم ذو السنامين، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في الفالج.

الدوبل: الحمار الصغير الذي لا يكبر، وكان الأخطل يلقب به، ومنه قول جرير:

بكى دوبل لا يرقىء الله دمعه
ألا إنّما يبكي من الذل دوبل

الدود: جمع دودة وجميع الدود ديدان، والتصغير دويد، وقياسه دويدة، وداد الطعام يداد وأداد، ودوّد إذا وقع فيه السوس، قال الراجز:

قد أطعمتني دفلاً حولياً مسوساً مدوّداً حجريا

والدود أيضاً صغار الدود، ودويد بن زيد عاش أربعمائة وخمسين سنة وأدرك الإسلام وهو لا يعقل، وارتجز وهو محتضر:

اليوم يبنى لدويد بيته لو كان للدهر بلًى أبليتُه
أو كان قرني واحداً كفيته يا رب تهب صالح حويتُه
ورب غيل حسن لويته ومعصم مخضب ثنيتُه

وفي «**تاريخ ابن خلكان**» أنّه سعى بأبي الحسن الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا إلى المتوكل بأنّ في منزله سلاحاً وكتباً من شيعته وأنّه يطلب الأمر لنفسه فبعث المتوكّل إليه جماعة، فهجموا عليه في منزله فوجدوه على الأرض مستقبل القبلة يقرأ القرآن، فحملوه على حاله إلى المتوكل والمتوكل يشرب فأعظمه وأجله، وقال له: أنشدني فقال: إنّي قليل الرواية للشعر، فقال له المتوكّل: لا بد فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجالِ فما أغنتهم القللُ
واستنزلوا بعد عزٍ من معاقلهم وأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسرة والتيجان والحلل
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكّل والحاضرون ثم قال له المتوكّل: يا أبا الحسن هل عليك دين؟ قال: نعم أربعة آلاف درهم، فأمر له بهما وصرفه مكرماً، فلمّا كثرت السعاية به عند المتوكل أحضره من المدينة، وأقرّه بسرّ من رأى وتدعى العسكر لأنّ المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره فقيل لها: العسكر، فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر، ولهذا قيل له العسكري. وتوفّي في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومئتين وهو أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية رضي الله عنه وعن آبائه الكرام.

والدود أنواع كثيرة يدخل فيها الأساريع والحلم والأرضة، ودود الخل والزبل ودود الفاكهة ودود القز والدود الأخضر الذي يوجد في شجر الصنوبر، وهو في القوة والفعل كالذراريح، وكلّه معروف، ومنه يتولّد في جوف الإنسان. وروى ابن عدي بسند فيه عصمة بن محمد بن فضالة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبيّ ﷺ قال: «**كلوا التمر على الريق فإنّه يقتل الدود**»، وقالت الحكماء: شرب الوخشيرق يرمي الدود من البطن، وورق الخوخ إذا ضمدت السرة به قتل ديدان البطن. روى البيهقي في «**الشعب**» عن صدقة بن يسار أنّه قال: دخل داود

عليه الصلاة والسلام في محرابه، فأبصر دودة صغيرة فتفكّر في خلقها وقال: ما يعبأ الله بخلق هذه الدودة، فأنطقها الله، فقالت: يا داود أتعجبك نفسك لأنا على قدر ما آتاني الله أذكرُ لله وأشكر له منك على ما آتاك الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44].

وأمّا دود الفاكهة، فذكر الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ [النمل: 35] الآية، أنّها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن، وخمسمائة جارية على زي الغلمان كلّهم على سروج الذهب والخيل المسومة، وألف لبنة من ذهب وفضة، وتاجاً مكلاً بالدر والياقوت والمسك والعنبر، وحقاً فيه درة يتيمة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب، وبعثت برجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذي رأي وعقل وقالت: إن كان نبياً ميّز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقباً مستوياً، وسلك في الخرزة خيطاً، ثم قالت للمنذر: إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك، فلا يهولنك أمره، وإن رأيت شيئاً لطيفاً فهو نبي فأعلم الله نبيّه سليمان بذلك، فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشت في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ، وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفة من ذهب وشرفة من فضة، وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن، وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير، فأقيموا على اليمين واليسار، ثم قعد على كرسيه، والكراسي عن يمينه ويساره واصطفت الشياطين صفوفاً فراسخ، والجن صفوفاً فراسخ، والإنس صفوفاً فراسخ، والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك، فلمّا دنا القوم نظروا فرأوا الدواب تروث على لبنات الذهب والفضة، فرموا بما معهم منها، فلمّا وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق، ثم قال: أين الحق الذي فيه كذا وكذا، فقدّموه بين يديه، فأمر الأرضة، فأخذت شعرة ونفذت فيها، فجعل رزقها في الشجر، وأخذت دودة بيضاء بفيها الخيط ونفذت فيها، فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء، فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها، والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية، وقال للمنذر: ارجع إليهم، فلمّا رجع وأخبرها الخبر قالت: هو نبي وما لنا به طاقة، فشخصت إليه في اثني عشر ألفَ قيْل[1] تحت يد كل قيل ألوف.

وأمّا دود القز فيقال لها الدودة الهندية، وهي من أعجب المخلوقات، وذلك أنّه يكون أوّلاً بزراً في قدر حب التين، ثم يخرج من الدود عند فصل الربيع، ويكون عند الخروج أصغر من الذر، وفي لونه ويخرج في الأماكن الدفئة من غير حضن إذا كان مصروراً مجعولاً في حق، وربّما تأخّر خروجه فتصرّه النساء وتجعله تحت ثديهن، وإذا أخرج أطعم ورق التوت الأبيض، ولا يزال يكبر ويعظم إلى أن يصير في قدر الأصبع وينتقل من السواد إلى البياض أوّلاً فأوّلاً،

(١) القَيْلُ: لقب ملوك اليمن.

وذلك في مدّة ستّين يوماً على الأكثر، ثم يأخذ في النسج على نفسه بما يخرجه من فيه إلى أن ينفذ ما في جوفه منه، ويكمل عليه ما يبنيه إلى أن يصير كهيئة الجوزة، ويبقى فيه محبوساً قريباً من عشرة أيام، ثم ينقب عن نفسه تلك الجوزة فيخرج منها فراش أبيض له جناحان لا يمكنان من الاضطراب، وعند خروجه يهيج إلى السفاد فيلصق الذكر ذنبه بذنب الأنثى ويلتحمان مدّة ثم يفترقان، وتبزر الأنثى البزر الذي تقدم ذكره على خرق بيض تفرش له، قصد إلى أن ينفذ ما فيها منه، ثم يموتان هذا إن أريد منهما البزر، وإن أريد الحرير ترك في الشمس بعد فراغه من النسج بعشرة أيام يوماً أو بعض يوم، فيموت وفيه من أسرار الطبيعة أنّه يهلك من صوت الرعد وضرب الطست والهاون ومن شم الخل والدخان ومس الحائض والجنب، ويخشى عليه من الفأر والعصفور والنمل والوزغ وكثرة الحر والبرد، وقد ألغز فيه بعض الشعراء، فقال:

وبيضةٍ تُحضن في يومينِ ... حتى إذا دبت على رجلينِ
واستبدلت بلونها لونين ... حاكت لها خيماً بلا نيرينِ
بلا سماء وبلا بابين ... ونقبته بعد ليلتينِ
فخرجت مكحولة العينين ... قد صبغت بالنقش حاجبينِ
قصيرة ضئيلة الجنبين ... كأنّها قد قطعت نصفينِ
لها جناح سابع البردين ... ما نبتا إلا لقرب الحينِ
إنّ الردى كحل لكل عينِ

قال الإمام أبو طالب المكي في كتابه «**قوت القلوب**»، وقد مثل بعض الحكماء ابن آدم بدود القز: لا يزال ينسج على نفسه من جهله حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره، وربّما قتلوه إذا فرغ من نسجه لأنّ القز يلتف عليه فيروم الخروج عنه فيشمس، وربّما غمز بالأيدي حتى يموت لئلا يقطع القز ليخرج القز صحيحاً، فهذه صورة المكتب الجاهل الذي أهلكه أهله وماله وتنعّم ورثته بما شقى هو به، فإن أطاعوا به كان أجره لهم وحسابه عليه، وإن عصوا به كان شريكهم في المعصية لأنّه أكسبهم إيّاها به فلا يدري أي الحسرتين عليه أعظم إذهابه عمره لغيره أو نظره إلى ماله في ميزان غيره، انتهى. وقد أشار إلى ذلك أبو الفتح البستي بقوله:

ألم تر أنّ المرء طول حياته ... مُعَنًّى بأمر لا يزال يعالجه
كَدُودٌ كدُودِ القز ينسج دائماً ... ويهلك غمّاً وسط ما هو ناسجُه

وله أيضاً وأجاد:

لا يغرنّك أنّني لين اللمس ... فعزمي إذا انتضيت حسامُ
أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكامُ

وقال آخر في المعنى:

يفنى الحريص بجمع المال مدته ... وللحوادث ما يبقي وما يدع

كدودة القز ما تبنيه يهلكها ... وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

لمّا أخذت دودة القز تنسج أقبل العنكبوت يتشبّه بها وقال: لي نسج ولك نسج، فقالت دودة القز: إنّ نسجي ملابس للملوك ونسجك ملابس الذباب، وعند مس الحاجة يتبيّن الفرق، ولذلك قيل:

إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبيّن من بكى ممن تباكى

تتمة: شجرة الصنوبر تثمر في كل ثلاثين سنة مرّة، وشجرة الدبا تصعد في كل أسبوعين فتقول لشجرة الصنوبر: إنّ الطريق التي قد قطعتها في ثلاثين سنة قطعتها في أسبوعين، ويقال لك شجرة ولي شجرة، فتقول شجرة الصنوبر لها: مهلاً إلى أن تهب رياح الخريف فحينئذٍ يتبيّن لك اغترارك بالاسم. وقال المسعودي في «**ترجمة الراضي**»: إنّ دودة بطبرستان تكون من المثقال إلى ثلاثة مثاقيل تضيء في الليل، كما يضيء الشمع، وتطير بالنهار فترى لها أجنحة وهي خضراء ملساء لا جناحين لها في الحقيقة غذاؤها التراب لم تشبع قط منه خوفاً أن تفنى تراب الأرض فتهلك جوعاً، قال: وفيها منافع كثيرة وخواص واسعة، انتهى. وسيأتي عن الجاحظ قريب من هذا.

الحكم: يحرم أكله بجميع أنواعه لأنّه مستخبث إلاّ ما تولد من مأكول فعندنا فيه ثلاثة أوجه أصحّها جواز أكله معه لا منفرداً، والثاني يجب تمييزه ولا يؤكل أصلاً، والثالث يؤكل معه ومنفرداً وعلى الأصح ظاهر إطلاقهم أنّه لا فرق بين أن يسهل تمييزه أو يشق، ولا يجوز بيع الدود إلاّ القرمز الذي يصبغ به وهو دود أحمر يوجد في شجر البلوط في بعض البلاد صدفي يشبه الحلزون تجمعه نساء تلك البلاد بأفواههن، وأمّا دود القز فيجوز بيعه ويجب إطعامه ورق الفرصاد وهو التوت الأبيض، ويجوز تشميسه، وإن هلك لتحصيل فائدته، ويجوز بيع الفيلج، وفي باطنه الدود الميت لأنّ بقاءه فيه من مصلحته، فيجوز بيعه وزناً وجزافاً كما صرح به القاضي حسين، وقال الإمام: إن باعه جزافاً جاز، وإن باعه وزناً لم يجوز، قلت: وهذا هو الصحيح المعتمد لأنّ الدود الذي فيه يمنع معرفة مقدار ما فيه من المقصود وهو القز، وقد جزم به الشيخان في آخر «**كتاب السلم**» وجزم به ابن الرفعة وغيره، وفي روثه الخلاف في روث ما لا نفس له سائلة، وفي بزره الوجهان في بيض ما لا يؤكل لحمه والأصح الطهارة، وقال الفوراني والمتولي: إن قلنا دود القز طاهر بعد الموت فبزره طاهر، وإن قلنا إنّه نجس فالبزر كالبيض لأنّ له نماء مثله، وفي فتاوى القفال أنّ بزر القز لا مثل له ولا يجوز السلم فيه لأنّ أهل الصنعة لا يعرفون أنّ هذا البزر يكون نسجه أحمر أو أبيض، فهو كالسلم في الجواهر.

الأمثال: قالوا: أصنع من دود القز وربّما قالوا: أكثر من الدود وأضعف من الدود، قال ابن رشد في **جامع البيان والتحصيل**: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص رضي الله عنه عن البحر، فقال: خلق قوي يركبه خلق ضعيف دود على عود إن ضاعوا هلكوا وإن بقوا فرقوا، فقال عمر: لا أحمل فيه أحداً أبداً.

الخواص: إذا أخذ دود القز وخلط بالزيت ولطّخ به بدن إنسان نفع من نهش الهوام وذات السموم، ودودة القز إذا أخرجت منه وأكلها الدجاج حصل له سمن كثير، ودود الزبل الأصفر الذي يخلق منه إذا طبخ في زيت عتيق حتى ينضج ويدهن بذلك الزيت داء الثعلب فإنّه يبرئه وهو في ذلك عجيب مجرّب إذا داوم عليه.

التعبير: الدود في المنام عدو من الأهل، ودود القز زبون للتاجر ورعية للسلطان، فمن أخذ منه شيئاً نال منفعة منهم، وربما دلّت رؤية الدود على مال حرام، ويعبّر أيضاً بالضر، فمن زال عنه زال ذلك عنه، وربّما عبر الدود بالأولاد القصيري الأعمار وأصحاب التركات السنية، وربّما دلت رؤيته على قرب الأجل ونهاية العمر، وربّما دلّت على الحاكة من الرجال والنساء والمحاكين للصور، والله أعلم.

دؤالة: كنخالة من أسماء الثعلب، سمّي بذلك لنشاطه وخفّة مشيه، والدألان مشية النشيط.

الدودمس: ضرب من الحيات محرنفش الغلاصيم ينفخ فيحرق ما أصاب، والجمع دودمسات ودواميس، قاله ابن سيده.

الدوسر: الجمل الضخم، والأنثى دوسرة وجمل دوسري كأنّه منسوب إليه.

الديسم: بالفتح، ولد الدب، قال الجوهري: قلت لأبي الغوث: يقال إنّه ولد الذئب من الكلبة، فقال: ما هو إلاّ ولد الدب، وقال في «**المحكم**» إنّه ولد الثعلب، وقال الجاحظ: إنّه ولد الذئب من الكلبة، وهو أغبر اللون وغبرته ممتزجة بسواد.

وحكمه: تحريم الأكل على كل تقدير.

الديك: ذكر الدجاج، وجمعه ديوك وديكة وتصغيره دويك، وكنيته أبو حسان، وأبو حماد، وأبو سليمان، وأبو عقبة، وأبو مدلج، وأبو المنذر، وأبو نبهان، وأبو يقظان، وأبو برائل، والبرائل الذي يرتفع من ريش الطائر في عنقه، وينفشه الديك للقتال، وقيل إنّه للديك خاصة، ويسمّى الأنيس والمؤانس، ومن شأنه أنّه لا يحنو على ولده

ولا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة، وذلك أنّه إذا سقط من حائط لم يكن له هداية ترشده إلى دار أهله، وفيه من الخصال الحميدة أنّه يسوّي بين دجاجه، ولا يؤثر واحدة على واحدة إلاّ نادراً، وأعظم ما فيه من العجائب معرفة الأوقات الليلية فيقسط أصواته عليه تقسيطاً لا يكاد يغادر منه شيئاً سواء طال أو قصر، ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده، فسبحان من هداه لذلك، ولهذا أفتى القاضي حسين والمتولي والرافعي بجواز اعتماد الديك المجرب في أوقات الصلوات، ومن غريب أمره: إذا كانت الديكة بمكان ودخل عليها ديك غريب سفدته كلّها، وقد أجاد أبو بكر الصنوبري في مدحه حيث قال:

مغرد الليل ما يألوكَ تغريدًا ... ملَّ الكرى فهو يدعو الصبحَ مجهودا
لما تطرَّبَ هز العطف من طربٍ ... ومد للصوت لما مدَّه الجيدا
كلابسٍ مطرَفاً مرخٍ ذوائبَه ... تضاحكُ البيض من أطرافه السودا
حالي المقلد لو قيست قلائدُه ... بالورد قصَّر عنها الورد توريدا!

وفي «**تاريخ ابن خلكان**» في ترجمة محمد بن معن بن محمد بن صمادح المنعوت بالمعتصم من قصيدة مدحه أبو القاسم الأسعد بن بليطة في صفة الديك:

كأنّ أنوشروان أعطاه تاجه ... وناط عليه كف مارية القِرْطَا
سبى حلة الطاوس حسن لباسِه ... ولم يكفه حتى سبى المشية البطَّا

قال الجاحظ: ويدخل في الديك الهندي والجلاسي والنبطي والسندي والزنجي، وزعم أهل التجربة أنّ الديك الأبيض الأفرق من خواصه أن يحفظ الدار التي هو فيها، وزعموا أنّ الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق لم يزل ينكب في أهله وماله. وروى عبد الحق بن قانع بإسناده إلى جابر بن أثوب بسكون الثاء المثلثة وفتح الواو وهوأثوب بن عتبة أنّ النبيّ ﷺ قال: «**الديك الأبيض خليلي**»، وإسناده لا يثبت، ورواه غيره بلفظ: «**الديك الأبيض صديقي وعدو الشيطان، يحرس صاحبه وسبع دور خلفه**»، قال: وكان النبيّ ﷺ يقتنيه في البيت والمسجد. وفي «**التهذيب**» في «**ترجمة البزي**» الراوي عن ابن كثير وهو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة المكي وهو ضعيف الحديث عن الحسن عن أنس أنّ النبيّ ﷺ قال: «**الديك الأبيض الأفرق حبيبي وحبيب حبيبي جبريل يحرس بيته وستّة عشر بيتاً من جيرانه**»، وروى الشيخ محب الدين الطبري أنّ النبيّ ﷺ كان له ديك أبيض، وكان الصحابة ﷺ يسافرون بالديكة لتعرّفهم أوقات الصلوات. وفي «**الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي**» عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله**

من فضله، فإنّها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهاق الحمير فتعوّذوا بالله من الشيطان، فإنّها رأت شيطاناً». قال القاضي عياض: سببه رجاء تأمين الملائكة على الدعاء واستغفارهم وشهادتهم له بالإخلاص والتضرع والابتهال، وفيه استحباب الدعاء عند حضور الصالحين والتبرك بهم، وإنّما أمرنا بالتعوّذ من الشيطان عند نهيق الحمير لأنّ الشيطان يخاف من شرّه عند حضوره، فينبغي أن يتعوّذ منه، انتهى.

وفي «معجم الطبراني وتاريخ أصبهان» عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إنّ لله سبحانه ديكاً أبيض جناحاه موشيان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، ورأسه تحت العرش، وقوائمه في الهواء يؤذن في كل سحر فيسمع تلك الصيحة أهل السموات وأهل الأرض إلاّ الثقلين الإنس والجن، فعند ذلك تجيبه ديوك الأرض، فإذا دنا يوم القيامة يقول الله تعالى: ضم جناحيك وغضّ صوتك، فيعلم أهل السماوات وأهل والأرض إلاّ الثقلين أنّ الساعة قد اقتربت».

وروى الطبراني والبيهقي في «الشعب» عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ لله ديكاً رجلاه في التخوم، وعنقه تحت العرش منطوية، فإذا كان هنة من الليل صاح: سبوح قدوس، فتصيح الديكة» وهو في «كامل ابن عدي» في ترجمة علي بن أبي علي اللهبي قال: وهو يروي أحاديث منكرة عن جابر رضي الله عنه. وفي «كتاب فضل الذكر» للحافظ العلاّمة جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «إنّ لله عزّ وجل ديكاً رجلاه في الأرض السفلى وعنقه مثنية تحت العرش وجناحاه في الهواء يخفق بهما في السحر كل ليلة يقول: سبحان الملك القدّوس ربّنا الملك الرحمن لا إله غيره». وروى الثعلبي أنّ النبيّ ﷺ قال: «ثلاثة أصوات يحبّها الله تعالى: صوت الديك، وصوت قارىء القرآن، وصوت المستغفرين بالأسحار». وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «لا تسبّوا الديك، فإنّه يوقظ للصلاة»، إسناده جيّد، وفي لفظ «فإنّه يدعو إلى الصلاة»، قال الإمام الحليمي في قوله ﷺ: «فإنّه يدعو إلى الصلاة» دليل على أنّ كل من استفيد منه خير لا ينبغي أن يسب ويستهان به، بل حقّه أن يكرّم ويشكر ويتلقى بالإحسان، وليس معنى دعاء الديك إلى الصلاة أنّه يقول بصراخه حقيقة: الصلاة، أو: قد حانت الصلاة، بل معناه أنّ العادة قد جرت بأنّه يصرخ صرخات متتابعة عند طلوع الفجر، وعند الزوال، فطرة فطره الله عليها، فيتذكّر الناس بصراخه الصلاة، ولا يجوز لهم أن يصلّوا بصراخه من غير دلالة سواه إلا من جرّب منه ما لا يخاف فيصير ذلك له إشارة، والله أعلم، انتهى.

وروى الحاكم في «المستدرك» في أوائل «كتاب الإيمان» والطبراني ورجاله رجال الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ الله أذن لي أن أحدّث عن ديك رجلاه في

الأرض، وعنقه مثنية تحت العرش، وهو يقول: سبحانك ما أعظم شأنك»، قال: «فيرد عليه: ما يعلم ذلك من حلف بي كاذباً». وروى الإمامان أبو طالب المكّي وحجّة الإسلام الغزالي عن ميمون بن مهران أنّه قال: «بلغني أنّ تحت العرش ملكاً في صورة ديك براثنه من لؤلؤة وصيصته من زبرجد أخضر، فإذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم القائمون، فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم المصلّون، فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم»، ومعنى: زقا صاح.

نكتة: كان سهل بن هارون بن راهويه في خدمة المأمون، وكان حكيماً فصيحاً شاعراً فارسي الأصل شيعي المذهب شديد التعصب على العرب، وله مصنفات عديدة في الأدب وغيره، وكان الجاحظ يصف براعته وحكمته وشجاعته في كتبه، وكان إليه النهاية في البخل، وله فيه حكايات عجيبة، فمن ذلك قال دعبل: كنّا عنده يوماً فأطلنا القعود حتى كاد يموت جوعاً، ثم قال: ويحك يا غلام غدّنا، فأتاه بقصعة فيها ديك مطبوخ، فتأمّله ثم قال: أين الرأس يا غلام؟ قال: رميت به، فقال: إنّي والله لأمقت من يرمي برجله، فكيف برأسه ولو لم يكن فيما فعلت إلاّ الطيرة والفأل لكرهته، أما علمت أنّ الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصرخ الديك، ولولا صوته ما أريد وفيه عُرفه الذي يتبرّك به، وعينه التي يضرب بها المثل في الصفاء فيقال شراب كعين الديك، ودماغه عجب لوجع الكليتين، ولم ير عظم أهش تحت الأسنان منه، وهب أنّك ظننت أنّي لا آكله أوَليس العيال كانوا يأكلونه؟ فإن كان قد بلغ من نبلك أنّك لا تأكله فعندنا من يأكله، أوَما علمت أنّه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق، انظر لي أين هو، فقال: والله ما أدري أين هو ولا أين رميت به، فقال: رميته في بطنك قاتلك الله.

الحكم: يحل أكله لما تقدّم في الدجاجة، ويكره سبّه لما تقدّم في حديث زيد بن خالد الجهني، ويجوز اعتماد الديك المجرب في أوقات الصلوات كما تقدّم قريباً، قال أصبغ بن زيد الواسطي: كان لسعيد بن جبير ديك يقوم في الليل بصياحه، فلم يصح ليلة حتى أصبح فلم يصل سعيد تلك الليلة، فشق ذلك عليه، فقال: ماله قطع الله صوته؟ فلم يسمع له صوت بعد ذلك. وفي «**مناقب**» إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى أنّ رجلاً سأله عن رجل خصي ديكاً له فقال: عليه أرشه. وفي «**الكامل**» في ترجمة عبد الله بن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر ﷺ أنّ النبيّ ﷺ نهى عن خصاء الديك والغنم والخيل، وقال: «**إنّما النماء في الخيل**» وتحرم المناقرة بالديكة، وسيأتي ما ورد في ذلك من النهي في باب الكاف في المناطحة بالكباش في لفظ الكبش إن شاء الله تعالى.

الأمثال: قالوا: أشجع من ديك، وأسفد من ديك.

فائدة: روى مسلم وغيره أنّ عمر رضي الله عنه خطب الناس يوماً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم

قال: إنّي رأيت رؤيا لا أراها إلاّ لحضور أجلي، وهي أنّ ديكاً نقرني ثلاث نقرات، وفي لفظ: رأيت كأنّ ديكاً أحمر نقرني نقرة أو نقرتين فحدّثتها أسماء بنت عُمَيس رضي الله عنها، فحدّثتني بأن يقتلني رجل من الأعاجم، وكان هذا القول منه يوم الجمعة، فطعن يوم الأربعاء رضي الله عنه. وروى الحاكم عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمر رضي الله عنه أنّه قال على المنبر: رأيت في المنام كأنّ ديكاً نقرني ثلاث نقرات، فقلت: أعجمي يقتلني، وإنّي جعلت أمري إلى هؤلاء الستّة الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض: عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحْمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص، فمن استخلف فهو الخليفة. وذكر ابن خلكان وغيره أنّ عمر رضي الله عنه لمّا طُعن اختار من الصحابة ستّة نفر وهم المتقدّم ذكرهم، وكان سعد بن أبي وقاص غائباً، وجعل عبد الله ابنه مشيراً، وليس له من الأمر شيء، وأقام المسور بن مخرمة وثلاثين نفساً من الأنصار وقال: إن اتّفقوا على واحد إلى ثلاثة أيام وإلاّ فاضربوا رقاب الكل، فلا خير للمسلمين فيهم، وإن افترقوا فرقتين فالفرقة التي فيها عبد الرحْمن بن عوف، وأوصي أن يصلّي صهيب بالناس ثلاثة أيام، فأخرج عبد الرحْمن بن عوف نفسه من الشورى واختار عثمان فبايعه الناس. ونقل أنّ العباس بن عبد المطلب قال لعلي: يا ابن أخي لا تدخل نفسك في الشورى مع القوم، فإنّ أخاف أن يخرجوك منها فتبقى وصمة فيك، فلم يقبل منه.

وكان عمر قد بويع له بالخلافة يوم مات الصدّيق بعهد منه له في ذلك كما سبق في باب الهمزة في لفظ الأوز. وضربه أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غلام المغيرة بن شعبة، وكان مجوسياً؛ وقيل: كان نصرانياً ثلاث ضربات إحداهنّ تحت سرّته، فقال: قتلني الكلب، وخرج من المحراب، ودخل عبد الرحْمن بن عوف فأتم الصلاة بالناس ومر أبو لؤلؤة هارباً وفي يده خنجر يضرب به يميناً وشمالاً، فطرح عليه رجل من الأنصار رداءه، فلمّا علم أنّه مأخوذ نحر نفسه، وكان بعض الذين في المسجد لم يشعروا بذلك لشغلهم بالصلاة إلاّ أنّهم فقدوا صوت عمر ولم يعلموا ما سببه. وإنّه لمّا طعن قيل له: ما أحب الأشربة إليك يا أمير المؤمنين؟ قال: النبيذ، فسقوه نبيذاً، فخرج من جرحه، فقال قوم: نبيذ وقال قوم: دم، فسقوه لبناً فخرج من جرحه، فقيل له: أوص يا أمير المؤمنين، فأوصى بالشورى كما تقدّم. وكان قتله في ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين، وبقي ثلاثة أيام، وتوفّي لأربع بقين من ذي الحجّة، وقيل لليلتين، وقد تقدّم بعض ذلك في الأوز.

ويقال إنّ عبيد الله بن عمر وثب على الهرمزان فقتله وقتل معه رجلاً نصرانياً يعرف بحفنة من أهل نجران، كانا قد اتّهما بإغراء أبي لؤلؤة بعمر رضي الله عنه، وقتل بنتاً لأبي لؤلؤة طفلة ووداهم عثمان رضي الله عنه ولحق عبيد الله بمعاوية في خلافة علي رضي الله عنه.

وكان في أيام عمر الفتوحات العظام وهو الذي سمّى الغزوات الشواتي والصوائف، وهو

أوّل من أرّخ التاريخ بعام الهجرة، وأوّل من دعي بأمير المؤمنين وأوّل من ختم الكتب، وكان في يده خاتم رسول الله ﷺ وفيه نظر، وأوّل من ضرب بالدرة وحملها وأوّل من قال: أطال الله بقاءك، قالها لعلي ﷺ، وهو الذي أخّر المقام إلى موضعه اليوم وكان ملصقاً بالبيت وهو أوّل من جمع الناس على إمام واحد في التراويح، وحجّ بالناس عشر سنين متوالية آخر سنة ثلاث وعشرين ومعه نساء رسول الله ﷺ في الهوادج، ورجع إلى المدينة فرأى الرؤيا المتقدّم ذكرها، وتزوّج عمر أم كلثوم بنت علي ﷺ وأصدقها أربعين ألف درهم، وكان أي عمر ﷺ قد حدّ ابنه عبيد الله على الشراب، فقال له وهو يحدّه: قتلتني يا أبتاه، فقال له: يا بنيّ إذا لقيت ربّك فأخبره أنّ أباك يقيم الحدود. والذي في السير أنّ المحدود في الشراب ابنه الأوسط أبو شحمة، واسمه عبد الرحمٰن وأمّه أم ولد يقال لها: الهيبة، وقتل عبيد الله الرجلين مشكل وقتله الطفلة أشكل، والله أعلم.

وذكر غير واحد من الثقات أنّه كان لرقية بنت رسول الله ﷺ من عثمان ولد يقال له عبد الله وبه كان يكنى، بلغ سبع سنين نقره ديك في وجهه فمات بعد أمّه في جمادى سنة أربع، ولم يولد له غيره من بنات النبيّ ﷺ، ولمّا هاجرت رقية إلى الحبشة كان فتيان الحبشة يتعرّضون لرؤيتها ويتعجّبون من جمالها فآذاها ذلك، فدعت عليهم فهلكوا جميعاً.

وقالوا: ما كلمته إلاّ كحسو الديك، يريدون السرعة قال الشاعر:

ويوماً كحسو الديك قد بات صحبتي ... ينالونه فوق القلاصِ العياهِلِ

يريد: قلته وسرعته وضربوا المثل بصفاء عينه، فقالوا: أصفى من عين الديك، ومن المشهور في ذلك قصيدة عدي بن زيد العبادي التي يقول فيها:

بكر العاذلون في وضح الصبـ ... ـح يقولون لي: أما تستفيقُ

ويلومون فيك يا ابنة عبد الله ... والقلب عندكم موهوقُ

لست أدري إذ أكثروا العذل فيها ... أعدوّ يلومني أم صديقُ

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت ... قينة في يمينها إبريقُ

قدمته على عقار كعين الـ ... ـديك صفّى سلافها الراووقُ

ولهذه الأبيات حكاية حسنة مشهورة مذكورة في «**درّة الغواص**» وفي «**تاريخ ابن خلكان**» في ترجمة حماد الراوية قال: كنت منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك وكان أخوه هشام يحفوني لذلك في أيامه، فلمّا مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خفته، فمكثت في بيتي لا أخرج إلاّ لمن أثق به من إخواني سرّاً، فلمّا لم أسمع أحداً ذكرني في السنة أمنت فخرجت يوماً وصلّيت الجمعة بالرصافة، وإذا شرطيان قد وقفا عليَّ وقالا: يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر، وكان والياً على العراق، فقلت في نفسي: من هذا كنت أخاف، ثم قلت للشرطيين: هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي فأودعهم وداع من لا يرجع إليهم أبداً ثم أسير معكما إليه،

فقالا: ما إلى ذلك سبيل، فاستسلمت في أيديهما ثم صرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر، فسلمت فرد علي السلام ورمى إليّ كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر الثقفي، أمّا بعد، فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه الإثنتي عشرة ليلة إلى دمشق، قال: فأخذت الدنانير ونظرت فإذا جمل مرحول، فجعلت رحلي في الغرز وسرت اثنتي عشرة ليلة حتى وافيت دمشق، فنزلت على باب هشام فاستأذنت، فأذن لي، فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام، وبين كل رخامتين قضيب من ذهب وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تضمخ بالمسك والعنبر، فسلّمت عليه، فرد علي السلام واستدناني فدنوت إليه حتى قبلت رجله، فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط، في أذن كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتقدان فقال لي: كيف أنت يا حماد، وكيف حالك؟ قلت: بخير يا أمير المؤمنين، فقال: أتدري فيم بعثت إليك؟ قلت: لا، قال: بعثت إليك لبيت خطر ببالي لم أدر قائله، قلت: وما هو؟ قال:

ودعوا بالصَّبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها إبريقُ

فقلت: يقوله عدي بن زيد العبادي في قصيدة له، فقال: أنشدنيها، فأنشدته:

بكر العاذلون في وضح الصبـ ـح يقولون لي أما تستفيقُ
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موهوقُ
لست أدري إذ أكثروا العذل فيها أعدوّ يلومني أم صديقُ

قال حماد: فانتهيت فيها إلى قوله:

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الـ ـديك صفّى سلافها الراووق
مرّة قبل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق
وطفا فوقها فقاقيع كاليا قوت حمر يزيّنها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحاب لا صريّ آجنٌ ولا مطروق

قال: فطرب هشام، ثم قال لي: أحسنت يا حماد والله، يا جارية اسقيه، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي، فقال: أعده فأعدته فاستخفّه الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للجارية الأخرى: اسقيه، فسقتني شربة ذهبت بثلث آخر من عقلي، ثم قال: سل حاجتك يا حماد، فقلت: كائنة ما كانت، قال: نعم، قلت: إحدى هاتين الجاريتين، فقال: هما لك بما عليهما، ثم قال للجارية الأولى: اسقيه، فسقتني شربة، فسقطت منها فلم أعقل حتى أصبحت والجاريتان عند رأسي، فإذا عشرة من الخدم ومع كل واحد منهم بدرة فيها عشرة آلاف درهم، فقال أحدهم: إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خذ هذه وانتفع بها في سفرك،

فأخذتها والجاريتين وعدت إلى أهلي، انتهى. هكذا ساقها الحريري في «**كتابه درة الغواص**»، وفيه اعتراضان، أحدهما قوله: يا جارية اسقيه، فإنّ هشاماً لم يكن يشرب الخمر اللّهم إلا إن كان يشرب بحضرته، والثاني قوله: إنّ هشاماً بعث إلى يوسف بن عمر الثقفي فإنّه في هذا التاريخ لم يكن متولياً على العراق، وإنّما كان والياً عليه في التاريخ المذكور خالد بن عبد الله القسري حسبما ذكره أهل التاريخ.

الخواص: لحم الديوك حار يابس باعتدال أجوده عند اعتدال أصواتها، وهو ينفع أصحاب القولنج ويستحب كدّها قبل ذبحها، وأكل لحمها يولد غذاء محموداً ويوافق من الأمزجة الباردة، ومن الأسنان الشيوخ ومن الزمان الشتاء، والديوك العتيقة تنحل منها قوة في الطبخ، ولحمها يطلق البطن، وينفع المفاصل والرعشة والحمى العتيقة ذات الأدوار ولاسيما إذا عمل بملح كثير وماء كرنب ولبان القرطم والإسفاناخ، وأمّا الفراخ فغذاؤها موافق لجميع الناس حين تبتدىء بالصياح، والدجاج قبل أن يبيض وينبغي أن يواصل أكلها دائماً.

وأمّا خواص أجزائه: فدم الديك أو دماغه إذا طلي به على لسع الهوام أبرأه، والاكتحال بدمه ينفع البياض في العين، وعُرف الديك إذا أُحرق وسقي منه من يبول في فراشه أزال عنه ذلك، وأبرأه، وإذا طليت جبهة الديك وعُرفه بدهن لم يصح، وإذا نتف الريش الطويل الذي في ذنبه عند ركوبه على الدجاجة وهو يسفدها وجعل في مجرى الحمام، فمن اغتسل من ذلك الماء أنعظ، وفي طرف جناحيه عظمتان إذا علقت اليمنى على من به الحمى الدائمة أبرأته، وإذا علقت اليسرى على من به حمى الربع أبرأته، وهاتان العظمتان يمنعان الإعياء والنعاس إذا علّقتا على بهيمة، وخصيته إذا شويت وأكلتها المرأة التي لا تحبل في حيضها قبل الطهر بثلاثة أيام وجامعها زوجها حبلت، وإذا أخذ هذا العضو من يريد الجماع الكثير وصرّه في قرطاس وعلّقه على عضده الأيسر أنعظ إنعاظاً شديداً عجيباً، فإذا حلّه سكن ذلك عنه، وعُرف الديك الأبيض أو الأحمر إذا بخّر به المجنون نفعه نفعاً عجيباً، ومرارته تخلط بمرق ضأن وتؤكل على الريق تذهب النسيان وتذكر ما نسي، ودمه يخلط بعسل ويعرض على النار ويطلى به الذكر يقوّي الذكر والباه، وخصية الديك تعلّق على الديك المهارش لا يغلبه ديك.

التعبير: الديك تدل رؤيته على الخطيب والمؤذن والقارىء المطرب، وربّما دلّت رؤيته على الرجل الذي يأمر بالمعروف ولا يأتيه لأنّه يذكر بالصلاة ولا يصلّي، وربّما دلت رؤيته على الرجل الكثير النكاح أو السمسار الكثير العياط أو الزمار الذي يأوي إلى النساء أو الحارس، وربّما دلت رؤيته على الرجل الكريم المؤثر على نفسه بما يحتاج إليه أو القانع بما يجد أو الناقص الحظ والعائل أو الكثير الوقوع في الشدائد، وربّما تدل رؤيته على ربّ الدار، كما أنّ الدجاجة ربّة البيت، ويعبر أيضاً بمملوك لأنّ ضمن المدرج لنوح عليه السلام لمّا أنفذه يكشف خبر الماء إن كان نقص فغدر ولم يأت، فبقي الديك رهيناً كالمملوك من ذلك الزمان،

وامتنع من الطيران؛ وقيل: الديك في المنام رجل محارب من قبل المماليك؛ وقيل الديك إذا كان أبيض أفرق فإنّه مؤذن، فمن ذبحه في المنام فإنّه لا يجيب المؤذن؛ وقيل رؤية الديك تدل على مصاحبة العلماء وأولي الحكمة.

روي أنّ رجلاً أتى ابن سيرين فقال له: رأيت كأنّ ديكاً دخل منزلي فلقط حبات شعير كانت فيه، فقال له ابن سيرين: إن سُرق لك شيء فأعلمني، فما كان إلاّ أيام إذ أتى الرجل إليه فقال: سرق لي بساط من سطح منزلي، فقال ابن سيرين: المؤذن أخذه، فكان كذلك، وقال آخر لابن سيرين: رأيت كأنّي أخنق ديكاً، فقال ابن سيرين: هذا رجل ينكح يده، وقال له آخر: رأيت كأنّ ديكاً يصيح بباب بيت إنسان وينشد:

قد كان من رب هذا البيت ما كانا هَيُّوا لصاحبه يا قوم أكفانا

فقال: يموت صاحب الدار بعد أربعة وثلاثين يوما، فكان كذلك، وهي عدد حروف الديك بالجمل. وجاءه آخر فقال: رأيت كأنّ ديكاً يقول: الله الله، فقال له: بقي من أجلك ثلاثة أيام، فكان كذلك.

ديك الجن: دويبة توجد في البساتين إذا أُلقيت في خمر عتيق حتى تموت وتترك في محارة وتسد رأسها وتدفن في وسط الدار، فإنّه لا يرى فيها شيء من الأرضة أصلاً، قاله القزويني. وديك الجن لقب لأبي محمد بن عبد السلام الحمصي الشاعر المشهور من شعراء الدولة العباسية، كان يتشيّع تشيّعاً حسناً، وله مراث في الحسين رضي الله عنه، وكان ماجناً خليعاً عاكفاً على القصف واللهو متلافاً لما ورثه، مولده سنة إحدى وستّين ومائة، وعاش بضعاً وسبعين سنة، وتوفّي في أيام المتوكل سنة خمس أو ست وثلاثين ومائتين، ولمّا اجتاز أبو نواس بحمص قاصداً مصر لامتداح الخصيب جاءه إلى بيته فاختفى منه، فقال لأمّته: قولي له اخرج، فقد فتنت أهل العراق بقولك:

موردة من كف ظبي كأنّما تناولها من خدّه فأدارها

فلمّا سمع ذلك ديك الجن خرج إليه واجتمع به وأضافه، وفي «**تاريخ ابن خلكان**» أنّ دعبلاً الخزاعي لمّا اجتاز بحمص سمع ديك الجن بوصوله، فاختفى منه خوفاً أن يظهر لدعبل لأنّه كان قاصراً بالنسبة إليه، فقصده في داره، فطرق الباب واستأذن عليه، فقالت الجارية: ليس هو هنا فعرف قصده، فقال لها: قولي لي اخرج فأنت أشعر الإنس والجن بقولك:

فقام تكاد الكأس تحرق كفه من الشمس أو من وجنتيه استعارها
موردة من كف ظبي كأنّما تناولها من خدّه فأدارها

فلمّا بلغ ذلك ديك الجن خرج إليه وأضافه.

الديلم: ذكر الدراج.

وحكمه وخواصه وأمثاله وتعبيره: كالدراج.

ابن دأية: الغراب الأبقع، سمّي بذلك لأنّه إذا رأى دبرة في ظهر بعير أو قرحة في عنقه نزل عليها ونقرها إلى الديات.

فائدة: الديات بتشديد الدال وبالياء المثناة تحت والتاء المثناة فوق في آخره، هي عظام الرقبة، وفقار الظهر، قال ابن الأعرابي في **نوادره**: فقار البعير ثمان عشرة فقرة، وأكثرها إحدى وعشرون فقرة، وفقار الإنسان سبع عشرة فقرة، وقال جالينوس: خرز الظهر من لدن منبت في النخاع من الدماغ إلى عظم العجز أربع وعشرون خرزة، سبع منها في العنق، وسبع عشرة في الظهر، ثنتا عشرة في الصلب، وخمس في البطن وهو العجز، قال: والأضلاع أربع وعشرون، اثنتا عشرة في كل جانب، وجملة العظام التي في جسم الإنسان مائتان وثمانية وأربعون عظماً حاشا العظم الذي في القلب، والعظام التي حشي بها خلل المفاصل، وتسمّى السمسمية، وإنّما سمّيت بالسمسمية لصغرها، قال: وجميع الثقب التي في بدن الإنسان اثنتا عشرة: العينان والأذنان والمنخران والفم والثديان والفرجان والسرة حاشا الثقب الصغار التي تسمّى المسام وهي التي يخرج منها العرق، فإنّها لا تكاد تحصر.

روي أنّ عتبة بن أبي سفيان ولّى رجلاً من أهله على الطائف، فظلم رجلاً من الأزد، فأتى الأزدي عتبة فمثل بين يديه فقال: أصلح الله الأمير إنّك قد أمرت من كان مظلوماً أن يأتيك، فقد أتاك مظلوم غريب الديار ثم ذكر ظلامته بضجة وجفاء، فقال له عتبة: إنّي أراك أعرابياً جافياً والله ما أحسبك تدري كم فرض الله عليك من ركعة بين يوم وليلة؟ فقال الأزدي: أرأيتك إن أنبأتك بها، أتجعل لي عليك مسألة؟ قال عتبة: نعم، فقال:

إنّ الصلاة أربع وأربعُ ثم ثلاث بعدهن أربعُ
ثم صلاة الفجر لا تضيعُ

فقال عتبة: صدقت، ما مسألتك، قال: كم فقار ظهرك؟ قال عتبة: لا أدري، فقال: أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك؟ فقال عتبة: أخرجوه عنّي وردّوا عليه غنيمته.

والإبل تعرف من الغراب ذلك، فهي تخافه وتحذره وهو الذي تسمّيه العرب الأعور وتتشاءم به، وسيأتي الكلام عليه في باب الغين المعجمة إن شاء الله تعالى.

الدُّئِل: بضم الدال وكسر الهمزة، دابة شبيهة بابن عرس، وكان من حقه أن يكتب في أوّل الباب، وإنّما أخّرناه لأنّه يكتب في الرسم بالياء. قال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه:

جاؤوا بجيش لو قيس معرسه ما كان إلاّ كمعرس الذُّئِل

أراد موضع نزولهم ليلاً كبيت ابن عرس، قال أحمد بن يحيى: ما نعلم اسماً جاء على فُعِل غير هذا، قال الأخفش: وإليه ينسب أبو الأسود الدؤلي قاضي البصرة، إلاّ أنّهم فتحوا الهمزة على مذهبهم في النسبة استثقالاً لتوالي الكسرتين مع ياء النسب كما نسبوا إلى نمرة نمرى، وإلى ملك ملكى، واسم أبي الأسود ظالم بن عمرو بن سليمان بن عمرو، وفي اسمه ونسبه اختلاف كثير، وكان من سادات التابعين وأعيانهم، يروي عن علي وأبي موسى وأبي ذر وعمران بن حصين ﷺ أجمعين وصحب علياً رضي الله عنه وشهد معه وقعة صفّين، وهو بصري، وكان من أكمل الرجال رأياً وأسدهم عقلاً، ويعد من الشعراء والمحدثين والبخلاء والفرسان والبخر والعرج والمفاليج والنحويين وهو أوّل من وضع النحو، فقيل إنّ علياً رضي الله عنه وضع له الكلام كلّه ثلاثة أضرب: اسم وفعل وحرف، ثم دفعه إليه وقال له: تمم على هذا، وسمّي النحو نحواً لأنّ أبا الأسود قال: استأذنت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أن أضع نحو ما وضع، فسمّي لذلك نحواً، وهو القائل لبنيه: لا تجاودوا الله عزّ وجل، فإنّه أجود وأمجد، ولو شاء أن يوسع على الناس كلهم لفعل، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسعة على الناس فتهلكوا هزالاً، وهو صاحب نوادر، فمنها أنّه سمع رجلاً يقول: من يعشّي الجائع؟ فدعاه وعشّاه، فلمّا ذهب السائل ليخرج قال له: هيهات، إنّما أطعمتك على أن لا تؤذي المسلمين الليلة، ثم وضع رجله في الأدهم حتى أصبح، والأدهم القيد، ومنها أنّه قال له رجل: إنّك ظرف علم ووعاء حلم غير أنّك بخيل، فقال: لا خير في ظرف لا يمسك ما فيه، ومنها أنّه اشترى حصاناً بتسعة دنانير واجتاز به على رجل أعور، فقال: بكم اشتريته؟ فقال: قوّمه، فقال: قيمته أربعة دنانير ونصف، فقال: معذور أنت لأنّك نظرته بعين واحدة، فقوّمته بنصف قيمته، ولو نظرته بالعين الأخرى لو كانت صحيحة، لقوّمته ببقية القيمة، ومضى إلى داره ونام، فلمّا استيقظ سمعه يقضم، فقال: ما هذا؟ قالوا: الفرس يأكل شعيره، فقال: لا أترك في مالي من أنام وهو يمحقه ويتلفه، ولا أترك إلاّ ما يزيده وينمّيه، فباعه واشترى بثمنه أرضاً للزراعة، ومنها أنّ جيرانه بالبصرة كانوا يخالفونه في الاعتقاد ويؤذونه ويرجمونه في الليل بالحجارة ويقولون له: إنّما يرجمك الله تعالى، فيقول لهم: كذبتم، لو رجمني الله لأصابني، وأنتم ترجمونني فلا يصيبني، ثم باع الدار، فقيل له: بعت دارك؟ فقال: بل بعت جاري، فأرسلها مثلاً. وهذا عكس ما جرى لأبي جهم العدوي، فإنّه باع داره بمائة ألف درهم، ثم قال: بكم تشترون جوار سعيد بن العاص؟ فقالوا: وهل يشترى جوار قط؟ قال: ردّوا عليّ داري، وخذوا دراهمكم، والله لا أدع جوار رجل إن فقدت سأل عنّي، وإن رآني رحّب بي، وإن غبت حفظني، وإن شهدت قربني، وإن سألته أعطاني، وإن لم أسأله ابتدأني، وإن نابتني جائحة[1]

(١) جائحة: مصيبة.

فرّج عنّي، فبلغ ذلك سعيداً، فبعث إليه بمائة ألف درهم، ومنها أنّه دخل عليه معاوية رضي الله عنه يوماً، فبينما هو يخاطبه إذ ضرط أبو الأسود، فضحك معاوية، فقال له: يا أمير المؤمنين لا تخبر بها أحداً، فلمّا خرج من عنده دخل عمرو بن العاص فأخبره معاوية بما كان من أبي الأسود، فلمّا رآه عمرو قال له: يا أبا الأسود ضرطت بين يدي أمير المؤمنين؟ فلمّا دخل على معاوية قال له: ألم أسألك أن لا تخبر بها أحداً؟ فقال له معاوية: ما علم بها إلاّ عمرو، فقال: إياه كنت أحذر، ولكن فأنت لا تصلح للخلافة، قال: كيف؟ قال: إذا لم تكن لك أمانة على ضرطة، فكيف تؤمن على أموال المسلمين ودمائهم؟ فضحك معاوية ووصله، ومنها أنّه قيل له: هل شهد معاوية بدراً؟ قال: نعم، لكن من ذلك الجانب، وكان أبو الأسود يعلم أولاد زياد بن أبيه والي العراقين، فخاصمته امرأته إلى زياد في ولدها، وقالت: إنّه يريد أن يغلبني على ولدي، وقد كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له وطاء، فقال أبو الأسود: بهذا تريدين أن تغلبيني على ولدي، وقد حملته قبل أن تحمليه ووضعته قبل أن تضعيه، فقالت: ولا سواء إنّك حملته خفاً وحملته ثقلاً، ووضعته شهوة ووضعته كرهاً، فقال له زياد: إنّي أرى امرأة عاقلة، فادفع ابنها إليها، فأخلق أن تحسن أدبه.

توفّي أبو الأسود بالبصرة في طاعون الجارف سنة تسع وستّين وعمره خمس وثمانون سنة، وهذا الطاعون كان بالبصرة، مات فيه سراة الناس، قيل إنه مات فيه لأنس بن مالك رضي الله عنه ثلاثون ولداً، والله تعالى أعلم.